

ثورة أبي يزيد

جَمَادُ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ

تأليف

الشيخ سليمان بن الحاج داود بن يوسف
بحاثة في التاريخ

العطف (الجزائر) ربيع الثاني 1399 هـ / مارس 1979 م

الطبعة الأولى

1402 هـ - 1981 م



شَوْرَةُ أَحْمَدَ بْنِ يَزِيدَ

جَمَادُ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ

تأليف

الشيخ سليمان بن الحاج داود بن يوسف
بحاشة في التاريخ

العطف (الجزائر) ربيع الثاني 1399 هـ / مارس 1979 م

الطبعة الأولى

1402 هـ - 1981 م



ثورة أبي يزيد

جَمَادُ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ

تأليف

الشيخ سليمان بن الحاج داود بن يوسف
بحاشة في التاريخ

العطف (الجزائر) ربيع الثاني 1399 هـ / مارس 1979 م

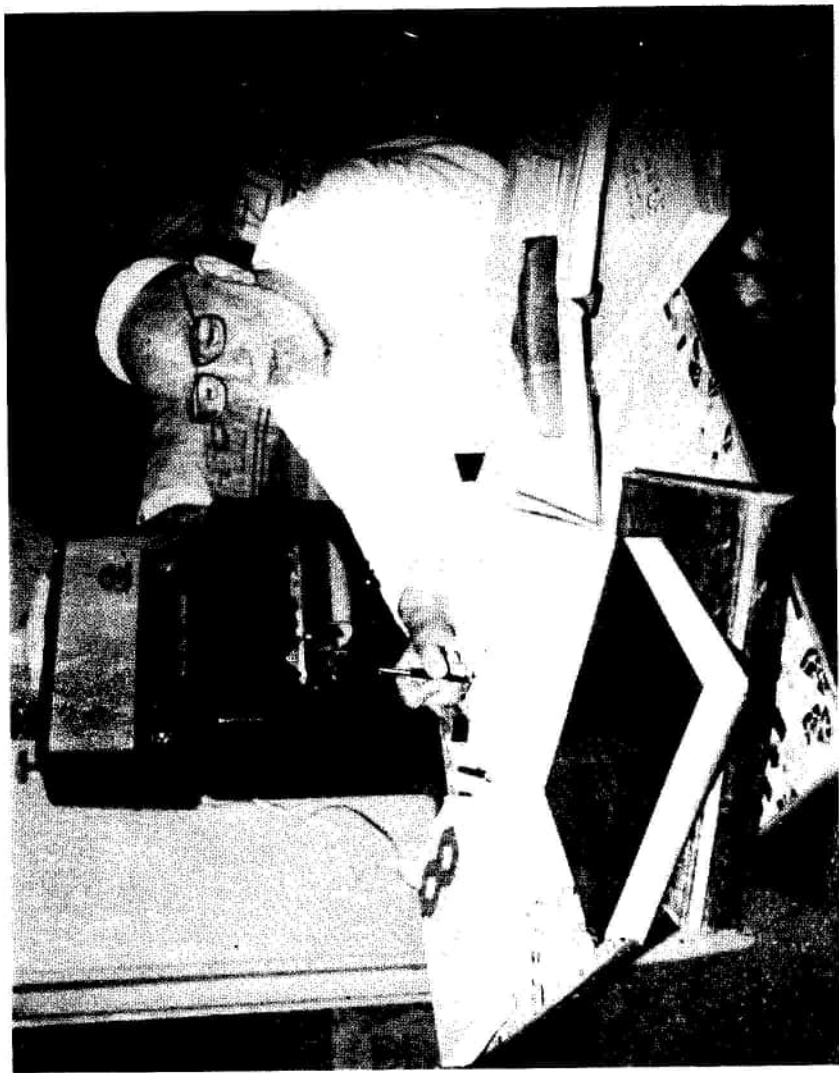
الطبعة الأولى

1402 هـ - 1981 م



حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الاستاذ المؤلف في مكتبه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

للدكتور عمر خليفة نامى

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وسلم ،

لقد ترددت كثيرا قبل كتابة هذه الاسطر التى شرفنى
العلامة المجاهد الشيخ سليمان بن الحاج داوود بن يوسف
بكتابتها ...

أولا : لان تصدير كلام الشيخ أمر لا يقوم له مثلى ، من
حيث عظم مقامه فى نفسه ، لتقدمه وحداثتى ، وتبحره
وضألتى ، واذا كان لمثلى أن يأخذ هذا المكان فلشئ واحد
فقط ، وهو أداء واجب الوفاء من جيل لا حق للجيل السابق ،
وفاء الابناء للأباء ، وأن يسجل الجيل الجديد لجيل السلف
واسع كرمه ، وصدق ثباته ، ونبل جهاده ، وعظيم قدره ،
وجليل دوره فى تمام القيام على حفظ الامانة وحسن تأديتها ،
والحدب الكامل على مصالح الامة وأبنائها والاخذ بأيديهم الى
مصاف المجد والمكانة اللائقة فى التاريخ ...

فالشيخ سليمان بن الحاج داوود بن يوسف - حفظه الله -
بالإضافة إلى مكانه المرموق كباحث ومحاضر في التاريخ
الإسلامي ، أفنى جل عمره المبارك في التنقيب على آثاره
والبحث في زواياه وخباياه ، وتحقيق عوامضه ومشكلاته ،
وتصحيح ملامحه وهذا البحث صورة من ذلك ، فانه بالإضافة
إلى ما تقدم ، مجاهد دؤوب ، أفنى عظم أيامه في عمل دائم
متصل مداره - الإصلاح - في دائرة العمل الإسلامي بمعنى
ترسيخ قيم الإسلام ومثله ، وبعث روحه ، وتجديد شبابه
بالالتزام به سلوكا وعملا ، والدعوة إليه فكرا وعقيدة في
فترة كان العدو الصليبي الحاقدا قد بلغ ذروة التحجج
والاستبداد حين أراد أن يسلم بلاد الإسلام عن الإسلام ،
ولسان العربية عن أهله ، وأن يجعل الأمة الإسلامية من بعد
مسخا مشوها ينسى مجد أجداده ، ويقصتر عن أسياده ...

فكان شيخنا الكريم ضمن الرعيل الأول الذي انتدب للقيام
بواجبه في بعث حركة التجديد الإسلامي في الجزائر ، فكان
في صدارة جمعية العلماء ونجما من نجومها وقائدا من قادتها
الفر الميامين ..

وكان كذلك ، وفي ضمن هذا الإطار ، أحد أركان الإصلاح
الإسلامي في وادي ميزاب وأحد عمده الراسخة الثابتة . مع
مساهمة متصلة في ميدان الكفاح السياسي ثم في الجهاد من
أجل التحرير ... وقد حمل عمره المبارك من كل ذلك ما ينوء
به الكثير ممن لم تتوفر له ما توفر للشيخ الفاضل من صدق
العقيدة ومضاء العزيمة وصدق الجهاد وطول النفس ...

وله الى ذلك دوره فى مجال المال والاعمال ما يضرب المثل
العملى للحرص على الاستقلال الاقتصادى شأن المجدين من
بنى وطنه ، كل ذلك الى دور رجل الاسرة المسلم المثالى الذى
يرى أول واجباته العظمى نحو أمته أن يبنى البيت المسلم
الذى تترعرع فيه الذرية الصالحة فتكون هديته الرائعة الى
وطنه المتعطش للجند الصالحين ، ويكونون ذخره الثواب
المتصل الذى يرجوه .

ويسعدنى أن النقى بك أيها القارئ الكريم وبأستاذنا
الفاضل فى صدر رسالته هذه لانوه بقيمة هذا البحث النافع
الذى نصدى فيه لعلاج قضيتين تاريخيتين هما ما هما فى
خطورتها وأهميتها .

الاولى قضية الدولة العبيدية ، أمر قيامها وانتصارها فى
شمال افريقيا وعقائد القائمين بها وتمكنهم من التسلط على
هذه الرقعة الكبيرة من الارض وتلك الفترة من الزمن وهذا
أمر يحتاج الى كثير من الدراسات والتحليل لسير أغوار حركة
التاريخ ومعرفة أبعادها .

ثم هو يعالج ثانيا تاريخ حركة أبى يزيد مغلد بن كيداد ،
وهى أظهر حركات المقاومة الجادة التى تحركت بها ربوع
الشمال الافريقى لنفى هذا الثقل الدخيل ، وبالرغم من هذا
الدور البطولى الرائع الذى انتدب له أبو يزيد ، وبالرغم مما
حققه من انتصارات باهرة عصفت بالدولة العبيدية وكادت
نقض عليها ، وأكدت لها استحالة استنباب الامر لها فى ديار
الشمال الافريقى ، بالرغم من ذلك ؛ فان التاريخ فى أكثر

من وجه لم يحتفظ لابي يزيد بتلك الصورة الناصعة فعرضه
فى أطر قائمة منفرة ، وذلك ما انتدب له الشيخ سليمان
ليصححه ويوضحه ليكشف أولا أمر هذه الدولة الدخيلة ،
ولينصف هذا الثائر المجاهد الذى قام لازلة هذه الدولة ولتغير
ما جلبته من منابر وما فرضته من الابطال ...

بدأ الكاتب دراسته بمقدمة صغيرة عن أبى يزيد ، ثم
قسم بحثه الى شطرين رئيسيين : أما الشطر الاول من هذا
البحث فهو يكشف للقارئ عن حقيقة العبيدين أصلهم
وتصوراتهم وأفكارهم وأعمالهم التى جاءت تتحدى مألوف
المسلمين وما توارثوه من عقيدتهم الصحيحة ودينهم القديم
وسيرة السلف الطاهرة النقية .

جاء بهذه الدولة عناصر مشبوهة الاصل ، وجاءت بتصورات
خالفت عقائد الاسلام ، وسوغت لهذه العقائد الخبيثة بتغيرات
بنتها على ما أسمته علم الباطن ! ! ودعاوى نسبتها الى علم
الائمة فجعلتها كل ما شاعت من الباطل . ثم ما زالوا بباطلهم
ذلك حتى حملوه على الامة وحملوها عليه بقوة السيف
ومظاهرة الاعوان . وهذه صورة لا يزال التاريخ يكررها ،
ولا يزال ينال الامة من مكروهاها فى فترات مختلفة من
التاريخ !!

والتنبيه الى جذور هذه الظاهرة وأبعادها وكشف خباياها
وأصولها من أساسيات الجهاد الاسلامى ، ومن جلائل أعمال
الفكر الاسلامى ... ان التصدى لكشف هذه الافكار الشادة
والضلالات الزائفة ووضعها فى موضعها الصحيح من تاريخنا

من أوجب الواجبات تجاه هذه الامة ، لتصحيح تاريخها أولا ،
ولوضع أجيالها على الطريق الصحيح لما يستقبلها من الزمان
وحتى لا يتكرر عليها مآسى هذه النماذج الكريهة ...

وقد بذل أستاذنا الفاضل جهده فى اظهار حقائق الدولة
العبيدية فى تصوراتها التى تصادم أساسيات العقائد
الاسلامية وفى وسائلها البشعة فى فرض تلك التصورات على
الناس ، فى التنكيل بقيادات الامة ، وقتل العلماء والصالحين
من دعاة الاسلام الحق ، ومزاولة صنوف القهر والبطش
للتمهيد لامرهم ..

وقد نال الامة من شرور تلك الموجة أشد الجهد والبلاء
سواء بما نجم من شرور القرامطة وفتنتهم بالمشرق أو ما
اتصل على المغرب الاسلامى من شرور العبيديين وفتنتهم ،
والحركتان من أصل واحد ومصدر واحد .. ولكن الله
سبحانه وتعالى وقى أمة الاسلام من هذا الشر أولا بما رسخ
وثبت من عقيدة الامة مما لا يناله التبديل والتغيير لاستناده
الى نصابة الحق ووضوحه ، والى ما تقرره الاصول الصحيحة
الثابتة لهذا الدين القيم كما جاء به الرسول الكريم صلى الله
عليه وسلم ، وكما بلغه السلف الصالح مما اعتمد على كتاب
ناطق وسنة ماضية وسيرة طاهرة نقية . وستظل هذه الاسس
درع هذه الامة ضد كل التصورات الباطلة والافكار الضالة
التى يلتمس أصحابها اقحامها على المسلمين وعقيدتهم
الصحيحة .

وثانيا : بتلك الانتفاضة التي تحركت عمليا لتغيير هذا الباطل واجتثاث جذوره من الاعماق معتمدة على القيادة الحكيمة الجادة والجهاد المتصل الدؤوب والعزيمة المصممة الماضية .. وهو ما بينه الشطر الثانى من هذا البحث القيم فهو تحليل دقيق لحركة الجهاد الرئيسية التي تصدت لتغيير منكر العبيدين ولتصحيح مسار الامة وتخليصها من تلك الشرور التي استفحلت واستعلنت فى ظل حكمهم ، وقد قاد هذه الحركة أبو يزيد مغلد بن كيداد الاباضى ، واستطاع أن يجمع حوله مشاعر الامة كاملة وأن يوحدتها تحت راتبه وأن ينتصر بها للعقيدة الصحيحة ، والسيرة الحميدة والدين القديم وقد جمع أبو يزيد أنصاره من أخراق الامة ومذاهبها لم يتخلف عنه أحد ، وكانت هبة أرجعت للحق هيئته ، وأزعجت الباطل أيما ازعاج .

وقد كادت أن تجتث جذوره ، وهى ان لم تفعل فقد أفهمت أصحاب هذا الضلال أن لا مجال لهم فى هذه الديار من بلاد الاسلام فرحلوا عنها بعد فترة ليقيموا دولتهم فى مصر ، ورحلت معهم عقائدهم وسيرتهم ، وكانت منها فى مصر وديارها أباطيل وأضاليل كان أظهرها ما سجله التاريخ من سيرة الحاكم بأمر الله ، ولكن الحق الذى أذاب باطلهم فى شمال افريقيا أزهم بقية ذلك الباطل فى مصر وغير مصر ، وصار كل ذلك قصصا يرويها التاريخ عبرة وذكرى .

وقد أفادنا أستاذنا فى استقصاء دقيق عن مسار حركة أبى يزيد وجهاده ، وابرز لنا صورا جلية من البطولة الحقّة

والجهاد الصادق ، ثم تجاوز ذلك الى « زبدة » بحثه وغايته فأزاح الكثير من غبار التعصب عن حركة أبى يزيد ، فأزال ما علق بها من دعايات مفرضة أرادت انتقاص هذا الجهاد والتقليل من شأنه فنسبت فيه الى أبى يزيد ما يشين جهاده ويظهره فى مظهر منفرد مستهجن ... وقد أفاد وأجاد . ولعمري ان التاريخ الذى يدقق فى سيرة أبى يزيد بما يلصق به ما يخدش هذه السيرة ويشوهها ليتجاوز لغيره عن الكثير من المعرات فلا يرويه الا رواية عابرة ، وان رواها فبدون نكير أو تنديد .

ولا نتعرض لدعايات أعداء حركة أبى يزيد فالامر فيها ظاهر واضح ، والسبب فيها الغيظ والعصبية ، وقد كشفها أستاذنا الكريم الشيخ سليمان بن يوسف بما لا مزيد عليه . ولكنى أريد أن أشير هنا الى أن مصادر الاباضية نفسها خطبت فى ذلك الحبل ، وجرت على نفس سبيل المصادر الاخرى فشنت على أبى يزيد ، ولا بد من وقفة عابرة هنا . فنحن لا ننفى أن نواكب حركة ضخمة كحركة أبى يزيد بعض الهنات ، ولكننا نستبعد أن تبلغ تلك الصورة المهولة الصارخة التى سجلتها أقلام المؤرخين ...

ويخطيء كل الخطأ من يكلف أبا يزيد جيشا كجيش العمرين أو جندا كجند أبى الخطاب عبد الاعلى أو أبى منصور الياس وهى الصور التى يضع المؤرخ الاباضى مقياسه للصراع بين أبناء الامة على مثالها الغريد النادر ...

فجيوش الاباضية فى انكارهم على دول الجور سواء بقيادة
أبى الخطاب ومن جاء بعده ومن سبقه ، وأبى منصور ومن
تبعه كانوا يلتزمون التزاما دقيقا بسيرة الصحابة اتصلت
عليه سيرتهم فورثها الخلف عن السلف ، والتزمت بها أجيالهم
فلا يفرطون فيها ولا يقصرون عنها ...

فقد كانت سيرتهم رحمهم الله فى حروبهم لاهل القبلة ألا
يتبعوا مدبرا ولا يجهزوا على جريح ولا يأخذوا سلبا ولا
سبيا ... نزهوا أيديهم عن كل ذلك فى التزام صارم ، وانما
كانهمهم ابطال الجور واقامة الحق ، وليس جمع الغنائم
والاسلاب أو الاتساع فى الملك والدولة ، وهو مسلك مثالى
قصرت عنه الهمم بعدهم ومضى مثالا شروذا فى التاريخ
لا يتكرر بيسر . وقد جاء اجماع من المؤرخين فى نقل تلك
الصور الناصعة العظيمة .

فأبو الخطاب فى حربه لورفجومة ، فقد غادر قتلى الاعداء
فى المعركة لم يمسه سوء غير السيف !! حتى قال فيهم من
رأهم « كأنهم رقود » لم يصبهم سلب أو نهب ، ولم يصب
زروع القوم وأجنتهم وأشجارهم ودورهم شىء من ممة
الجيش ، وكان ذلك شأن فى كل حروبه ... فهو جيش ربه
التقوى ، ووقد أهله الورع ..

وأما أبو منصور الياس فقد قاد حملة تأديبية صد فيها
جموع ابن طولون التى جاءت الى طرابلس تعيث فيها فسادا
فرد ذلك الجيش الغازى وبقي فى ميدان المعركة بعد هزيمة
ابن طولون ثمانمائة حمل ذهبوا لم يمسهما أحد من جند

أبى منصور !! فهذا جيش ما جاء فى طلب الدنيا ولو كانت ذهباً أصفر رناتا مباحا ... ولكنه جاء ينتصر لله ، رجاء ما عنده ، وبعد ذلك يستوى الذهب والتراب ، وهذا أيضا جيش ربه التقوى ووقده الورع . وهى طلائع مصفاة مصطفاة لا يقوم بها التاريخ دائما ... ولعل الذى انتقد سيرة أبى يزيد من مؤرخى الاباضية يريد أن يكلفه ما تكلف لهؤلاء - وحق له - وقد قال أبو القاسم مغلد بن يزيد أستاذ أبى خزر معلقا على حروب أبى يزيد مغلد بن كيداد : « لقد فتح فيهم أبو يزيد بابا لو أحسن السيرة » وهو كلام فيه اعجاب وعتاب ، وتقدير وانتقاد . أما أبو يزيد بن كيداد فقد اعتذر لنفسه وتلا قول الله تعالى : « وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا » (البقرة : 106) وتلك معرة جند مختلط ليست كتلك النماذج التى أشرنا إليها من قبل . وان هى أساءت فليس على تلك الصورة الموهلة التى زينها الرواة وتفننوا فى عرضها . ولماذا أطيل عليك أخى القارئ ، فقد كفى أستاذنا الكريم وشفى فى هذا البحث القيم الذى لا يستطيع أن يقوم بمثله غيره فهو كما قال فيه بحق ، رفيقه فى الجهاد وصنوه فى العلم مؤرخ الجزائر الكبير الاستاذ أحمد توفيق المدنى : « ... لكى يستطيع باحث أن يخرج للناس مثل هذا الكتاب الجليل يجب أن يكون متحليا بثلاث خصال ما اجتمعت فى واحد إلا نادرا :

أولها : الاطلاع الواسع والتحرى العميق .

وثانيها : الفكر الثاقب والتحليل المنطقى السليم .

وثالثها : الشجاعة والاقدام ، والجرأة على قول كلمة الحق والدفاع عنها مهما كانت مخالفة لما يعتقد أكثر الناس وأخي وصديقي العلامة البحاثة الشيخ سليمان بن داوود قد جمع الله فيه هذه الخصال الثلاث التي جعلته يقدم للناس مثل هذا البحث الجليل .

ولن أزيد شيئاً بعد كلمة المؤرخ الجليل أكرمه الله ، ولكنني أهنيء أستاذنا العزيز بهذا الجهد الكريم وأدعوه الى المزيد ، وأسأل الله أن يبارك في عمره وعمله وأن يوفقه الى جلائل الاعمال .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الدكتور عمر خليفة نامى

نالوت جبل نفوسة ليبيا

مقدمة :

بين يدي الكتاب

ظهرت الدولة الفاطمية بالمغرب على مشارف القرن الثالث الهجرى وتم لها السيطرة على اجزاء كثيرة فى المغربين الادنى والاوسط ، وكان أبو عبيد الله الشيعى - داعى دعائها - يسمى اتباعه واشياعه بالمؤمنين . واذا ركب نادى مناديه : يا خيل الله اركبى - وكتب فى بنوده - كما يقول أبو عبيد الله محمد بن حماد - صاحب كتاب أخبار ملوك بنى عبيد « سيهزم الجمع ويولون الدبر » ونقش على خاتمه : « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » وعندما دخل مدينة رقادة تقدم بين يديه رجل يقرأ آية : « هو الذى اخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر » وآية : « كم تركوا من جنات وعيون » .

ومع ذلك كله - فان أبا عبيد الشيعى - كما يقول المصدر نفسه - عندما دخل القصر المعروف بقصر الصحن أمر بقتل

السودان من موالى بنى الاغلب عن آخرهم فقتلوا وكتبوا على
مناخرهم - وعندما تمكن أبو عبد الله المهدي أمر بهدم قصور
بنى الاغلب بجميع بلاد افريقيا وبادر فقتل داعى دعائه
أبا عبيد الله الشيعى وأخاه أبا العباس وأبى زاكى
يوم الثلاثاء سنة 298 هـ .

ويقول أبو عبد الله بن حماد - ان مما أحدثه عبيد الله
المهدي ما يأتى :

- 1 - انه قطع صلاة التراويح فى شهر رمضان .
- 2 - واسقط بصيام يومين قبله وقتت فى صلاة الجمعة .
- 3 - واسقط من اذان الصبح « الصلاة خير من النوم »
وزاد « حى على خير العمل » « محمد وعلى خير البشر » .
- 4 - وغير ذلك من البدع التى يطول شرحها .
- 5 - وخطر ما قام به الفاطميون ، ويحسب عليهم ،
ويشكك فى كل دعاواهم بل يؤكد كذب كثير من هذه
الدعاوى - أمران :

اما أولهما : فهو نظرتهم لمخالفيتهم من المسلمين ، ، انهم
يرون غيرهم كفر ملاحدة مشركين ، بل ربما كان الكفار
عندهم أهون شانا من اخوانهم المسلمين . ومن هنا حسبت على
الفاطميين مواقف من اسوأ ما عرف عن الدويلات أو الدول
الاسلامية ، ومن هذه المواقف تحيزهم للصليبيين عندما
هاجموا المشرق الاسلامى (فى الحملة الصليبية الاولى) .

ومنها تهننتهم للنصارى النورمان عندما استولوا على صقلية
من اخوانهم المسلمين ، وحولوها - وحتى اليوم - الى مقاطعة
نصراية .

واما ثانيهما : فهو استحلالهم لدماء المسلمين بشكل لم
يسبق له مثيل انه ليس ثورة عاطفية تمثل رد فعل سرعان ما
يهدأ أو يعقل ، ولكنه ملاحقة دموية دائمة لكل مخالفين من
المسلمين ، حتى لو اضطروا للاستعانة عليهم بالنصارى كما
حدث فعلا .

انه أسلوب غريب لا يليق بأهل البيت ، ولا يمكن أن ينحدر
الى مستواه « أهل البيت الميامين » رضى الله عنهم اجمعين ،،
كلا ، وانما هو حقد بومى الى ان صاحبه لا يملك شيئا من
مقومات الاخوة الاسلامية ، ولا يحسب حسابا ليوم يقوم
الناس فيه لرب العالمين ويسال كل انسان - حاكما أو محكوما
عما اقترفت يداه تجاه الناس ولا سيما تجاه اخوانه المسلمين .

ومن هنا لم يهدأ الفاطميون فى المغرب . وقامت ضدهم
الانتفاضة تلو الانتفاضية والثورة تلو الثورة .

وكانت ثورة أبى يزيد مخلد بن كيداد هى أقوى تعبیر
عن الرفض الاسلامى لهذه الاساليب التى لجأ اليها الفاطميون
فى حكمهم للبلاد التى خضعت لهم .

وأبو يزيد رجل فقيه ومعلم . لم يمنعه عجزه المادى
والمعنوى عن ان يقاوم المنكر . وان يجند له كل الساخطين ،
وان يهزم الفاطميين فى أكثر من موقعة حتى قضى الله أمره .

انه شوط طويل صوره العلامة الشيخ سليمان داود
ابن يوسف ابلغ تصوير وتتبع اطواره حسب التسلسل
التاريخي ، مدعما لكل ما ذهب اليه بالمصادر التاريخية ونحن
- بالتأكيد - في عالمنا الاسلامي الفسيح - محتاجون أشد
الاحتياج لكي نستفيد من كل مراحل تاريخنا ، وان نرصد
ايجابياتها وسلبياتها ، حتى لا نكرر - دائما - تجاربنا
الخاطئة ، وحتى نعرف الصواب في تاريخنا فنسير على هديه
ونعرف الخطا فنتجنب مسالكه ودروبه .

وجزى الله العلامة الشيخ سليمان بن داود بن يوسف
خير الجزاء .

د . عبد الحليم عويس

استاذ تاريخ (المغرب والاندلس) بالرياض

جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم :

يسرني أن أقدم هذه الرسالة « ثورة أبي يزيد جهاد لاعلاء كلمة الله » للقارئ .

وتستحق هذه الثورة أن تبحث وتحلل وتستبين للناس أسبابها ونتائجها العقائدية والسياسية في المغرب الاسلامي .

وأبو يزيد مخلد بن كيداد الاباضى التكارى المولود حوالى 270 هـ (883 م) المتوفى فى 27 محرم 336 هـ (19 أوت 947 م) درس المذهب الاباضى وعمل ناظرا بمدرسة تيهرت ، ثم ذهب الى جبال أوراس ، وانتصرت له قبيلة بنى كملان الهوارية واستطاع أن يدخل القيروان فى 23 صفر 333 هـ ، وكانت له علاقة بعبد الرحمن الثالث الاموى بالاندلس ، وكان زاهدا ذكيا ، وبذلك توصل الى اضعاف الدولة العبيدية والانتصار عليها فى كثير من المواطن ، وقد تناول الشيخ سليمان بن الحاج داود بن يوسف فى رسالته هذه أخباره وسيرته ، والنصوص التاريخية المتناثرة فى كثير من المصادر والمراجع فجمعها فى هذا السفر ليكون ذلك مادة خصبة للباحثين . وقد دافع الشيخ عن أبى يزيد دفاعا حارا ، لم

يدافع به من سبقه من المؤرخين . وأظهر وجهة نظره بوضوح تام ، ويبدو أنه لم يهتم بتحليل الاسباب الاجتماعية والعقائدية والاقتصادية والسياسية التي جعلت أبا يزيد يثور على الدولة العبيدية . ويقوض أركانها فى مدة قليلة نسبيا ، ولكنه لم يهمل الاسباب العقائدية وتعاون فقهاء المالكية مع أبى يزيد الذى عزم على تحريرهم من مظالم العبيدين ، ومن بدعهم الدينية التى أعلنوا عنها للناس وحملوهم عنها الا أن فقهاء المالكية قاوموا بدورهم ، ووقفوا مواقف حاسمة فى المعارضة والارتباط بالشعب ، وترك الحكام الرستميين فى عزلة مما جعل بين الحكام والشعب جفاء وكراهية قوية . ونجد أخبارا تاريخية هامة تشير الى هذا لدى المؤرخين المغاربة كابن عذارى ، والرقيق القيروانى ، وابن خلدون ولدى المؤرخين المشارقة كابن الاثير ، والمقرئى وغيرهما . وأما مقاومة فقهاء المالكية فاحسن مرجع فى ذلك هو كتاب رياض النفوس للمالكى (1) .

ويشبهه أبو يزيد فى ثورته هذه ابن تومرت الموحدى مع اختلاف فى بعض الظروف والملابسات التاريخية .

نرجو أن تكون هذه الرسالة نافعة ، وموضحة لكثير من العناصر الغامضة فى هذه الثورة الكبيرة العارمة .

15 شعبان 1401 م

الجزائر :

17 جوان 1981 م

د. عمار الطالبي

La Révolte d'Abu-Yazid, Cahiers de Tunisie 1953, pp. 103-125.

Revue des Etudes Islamiques, 1936, pp. 80-87. وكذلك

ثورة أبى يزيد جهاد لاعلاء كلمة الله

(مقدمة)

أتناول فى هذا البحث الثورة المباركة لابى يزيد وجهاده القيم ضد الظلم والزندقة والالحاد ، أتناول أولا حياته قبل الثورة واعتكافه على نشر العلم ، ثم الاسباب التى دعتة للثورة ثم انضمام جميع علماء المالكية اليه وقد اعتبروا ثورته جهادا فى سبيل الله وانطوائهم تحت لوائه واجب . وأعرض لدحض الاكاذيب التى روجها الكثير زورا وبهتانا ، وأدفعها بحجج قاطعة ومصادر صحيحة لا تقبل الرد .

التعريف بأبى يزيد

كنيته أبو يزيد واسمه مغلد بن كيداد بن سعد الله ابن مغيث بن كرمان بن مغلد بن عثمان بن وزغت من بنى يفرن احدى قبائل زناته ، وكان أبوه تاجرا يسافر للسودان فولد أبو يزيد بكركو (1) قالوا انه قاد الثورة وعمره ستون سنة فتكون ولادته حوالى 270 هـ 883 م ووجود

أسماء ستة من أجداده عربية دليل على أن أسرته اعتنقت الاسلام مبكرا فيكون اسلام أسرته فى القرن الاول (2) .
وقد ذكرت فى احدى محاضراتى أن مغراوة وبنى يفرن وبنى واسين أسلموا باختيارهم زمن الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه (3) والحقيقة أن كلمة أبى يزيد ليست عربية وانما هى بربرية والاصل (بويزيد) بدون ألف معناه (صاحب الحمار) فبو معناه صاحب ويزيد معناه الحمار .

نشأته

كان أبوه كيداد يختلف الى بلاد السودان فى التجارة فولد أبو يزيد بكركو من بلادهم وأمه اسمها (سبيكة) ورجع به الى قيطون زناته ببلاد قسطيلة ونزل بتوزر مترددا بينها وبين تيفوس ، وتعلم القرآن وتأدب وكان (بنو يفرن) ممن اعتنق المذهب الاباضى فى القرن الاول حينما أقدم عكرمة مولى ابن عباس رضى الله عنهما الى المغرب وكان يدعو الى المذهب الاباضى وله مجلس بجامع سيدى عقبة بالقىروان . قال أبو العرب (I) وكان مجلس عكرمة فى مؤخر المسجد الجامع غربى المنارة ، وهناك روى عن عكرمة الحديث والتفسير خلق كثير من أبناء التابعين الافريقيين كما أثبتته أصحاب الطبقات ومما يجدر بالملاحظة أن عكرمة كان فى طليعة من أدخلوا النزعة الخارجية الى افريقيا اذ كان يرى رأيهم وعنه انتشرت نحلتهم وآراؤهم فى القىروان وفى بقية أنحاء المغرب ، ومات سنة 105 هـ كما هو معروف اهـ بنصه من كتاب الورقات

(1) طبقات أبى العرب ، ص 19 .

للشيخ حسن حسنى عبد الوهاب (2) . يقول ابن خلدون فى الحديث عن زناتة : بنو يفرن هؤلاء أوسع بطونهم وهم (اخوة مغراوة) وبنو يرنيمان وبنو واسين والكل بنو يصلتين ، وقد تفرع عن (بنى واسين) بنو مرين وبنو راشد وبنو مزاب وبنو عبد الواد وبنو زروال وكان بنو يفرن هؤلاء لعهد الفتح أكبر قبائل زناتة وأشدها شوكة وكان منهم بافريقيا وجبل أوراس والمغرب الاوسط بطون وشعوب ، فلما كان الفتح حسن اسلامهم ، ولما نشأ مذهب الخوارج بالمشرق قدموا لافريقيا ييثون بها دينهم فى البربر فتلحقه رؤسائهم فضشى فيهم المذهب الاباضى والصفرى وضرب بنو يفرن هؤلاء بسهم وانتحلوه وقاتلوا عليه (3) ، فمن الطبيعى أن يكون أبو يزيد اباضيا من أول نشأته كسائر بنى يفرن وتعلم القرآن وتآدب وراس فى المذهب الاباضى ورحل الى مشيختهم بتاهرت وأخذ عرابى عميرة منهم أيام اعتقال عبيد الله بسجلماسة وذلك لما أظهر أبو القاسم العبيدى مذهبه بسب الصحابة وتكذيب كتاب الله فمن تكلم عذب وقتل واشتد الامر على المسلمين . ثم أن أبا يزيد هبط من جبل أوراس يدعو الى الحق ويعتقد الخروج على السلطان ويحتسب على الناس فى كثير من أفعالهم وعلى جباية الاموال وأغار على عامل تيفيوس وأمر بقتله فقتله أهل تيفيوس .

وقد تخرج من مدرسة سجلماسة الاباضية وكان رفيقا لاحد كبار علماء الاباضية وهو الشيخ أبو الربيع سليمان

(2) ورقات القسم الاول . ص 106 .

(3) ابن خلدون ، ج 6 - 23 الاصلة العدد الخاص بتلمسان . ص 112 .

ابن زرقون واستاذهم ابن الجميع ، وقد قاما بجولة فى بلاد
الاباضية معا . ومات أبوه كيداد وتركه على حال من الخصاصة
والفقر فكان أهل القيطون يصلونه بفضل أموالهم وكان
يعلم صبيانهم القرآن والمذهب الاباضى وكان يتنقل بين
تيقيوس وتوزر (5) ولقى أبو يزيد عمار الاعمى فأخذ عنه
أصول مذهبهم (6) وأخذ نفسه بتغيير المنكر والتشهير بأعمال
الولاة وشاع عنه الخروج عن السلطان فنذر الولاة بقسطنطية
دمه فخرج الى الحج سنة 310 هـ 928 م فرارا من عبيد الله ،
وكان يطلبه فلما وصل الى مصر نظر اليه رجل من أهل مصر
وقد حلق رأسه غط رأسك أيها الثائر فلما سمعها أبو يزيد
وقع فى نفسه ما وقع من ذلك ، وذلك أن جبل نفوسة بقى
بدون علماء بعد معركة مانو ولهذا جاءت الطلبة الى سجلماسة
لطلب العلم وفيها اذ ذاك علماء أجلاء والتعليم مزدهر ، ولا
يخفى أن العبيديين لم ينجحوا فى الاستيلاء على سجلماسة ،
والقضاء على دولة بنى مدرار فبعد أن خربوا البلد وقتلوا
الامير استرجع بنو مدرار دولتهم وأعادوا بناء عاصمتهم
وعجز العبيديون على الاستيلاء عليها فكان مرجعا للاباضية
فى العلم والقيام بالثورات باعانة أمراء الاندلس (7) ولما
قدم (أبو الربيع سليمان بن زرقون) من جبل نفوسة مر
بتوزر فصاحبه أبو يزيد واستحكمت الصداقة بينهما حتى
بعد أن صار أبو الربيع من فطاحل علماء الاباضية وبه انتشر

(5) الاباضية بالجريد ، ص 112 .

(6) الاباضية بالجريد ، ص 117 - ابن خلدون ، ج 7 ، ص 129 .

(7) تاريخ المغرب للسان الدين الخطيب .

العلم يجبل نفوسة . وقد أحياء بعد الممات . فسار متوجها الى الحج . فأرهقه الطلب بالمكس في البلاد التي يمر بها فرجع ولما وصل قرب جبل نفوسة فارقه من كان معه من اباضية جبل نفوسة قاصدين منازلهم ، فقال لهم أبو يزيد اقرأوا اخواننا السلام وقولوا لهم قد فاتنا منكم كثير وفاتكم منا كثير وانه ليس لله علينا أن (نشترى حبة) يشير بهذا الى المكس الذي طولب به (8) يهون الفلس عادة على من كان قاصدا بيت ربه !

عزمه على الثورة

وبعد رجوعه الى تيفيوس سنة 316 هـ 928 م ابتداء حملة الدعاية ضد (الحكومة) فسمع به أبو القاسم فكاتب والى قسطنطية بالبحث عنه ومطالبتة ، فلحق بالمشرق وقضى الفرض ورجع الى توزر مستترا سنة خمس وعشرين فبدأ دعوته للثورة من جديد (9) .

فوجه اليه والى قسطنطية من توزر فأخذ وسجن في توزر مكبولا فطال مقامه في السجن حتى قنط وايس من السلامة وانسدت عليه أبواب الحيل فبلغ خبره جماعة من الاباضية فتشاوروا في أمره فأجمعوا على أن يختاروا أربعة رجال أهل شدة ونجدة ومعهم الفضل ويزيد بن أبي يزيد (10) ، فساروا آخر النهار فدخلوا توزر فوقف أحدهم على باب

(8) طبقات الدرجيني ، ج 1 ، ص 97 .

(9) ابن خلدون . ج 7 ، ص 123 .

(10) ابن خلدون ، ج 7 ، ص 27 .

المدينة وتقدم ثلاثة الى السجن وكسروا بابه وقتلوا السجن
وأخرجوا جميع من فى السجن فأخرجوا صاحبهم فى كبوله
فحمله أحد الثلاثة على ظهره وجرّد الآخران سيوفهما فجعل
أحدهما أمامه والآخر وراءه فكل من قام اليهم قتلوه حتى
خرجوا من المدينة فلم يتبعهم أحد فلما وصلوا موضعا بين
الحامة وتوزر ، وهنالك صخرة حطوه عليها وكسروا الكبول
حتى أطلقوه والصخرة معروفة هناك (بصخرة أبى يزيد)
الى اليوم فتوجهوا بصاحبهم الى صحراء سماطة قاصدين
بنى درجين فكان بها حينئذ مستخفيا حتى وصل جبل أوراس
فكان عند اخوانه بالجبل مكرما (11) . وكان فى جبل أوراس
فى كنف جماعة هواره بنى كملان فلقى منهم تأييدا كبيرا
وبقى أنصاره المخلصين الى آخر رmq وكان يعينه على القيادة
الامام أبو عمار عبد الحميد بن عبد الله الاعمى الذى خلصه
عندما أودع السجن بتوزر وكان له أبناء أربعة وامرأة تسمى
تاخيرين على مذهبه (12) وأراد توسيع نطاق ثورته فلحق
ببلد بنى ورقلا وأقام بها سنة يختلف الى جبل أوراس والى
بنى برزال فى مواطنهم بالجبال قبله المسيلة والى بنى زنداك
من مغراوة الى أن أجابوه فرجع الى أوراس ومعه شيخه
أبو عمار عبد الحميد واجتمع اليه العزابة وسائر الاباضية
وأخذ له البيعة عليهم أبو عمار على قتال العبيديين على أنهم
ان ظفروا بالمهدية والقيروان صار الامر شورى ، وذلك سنة
احدى وثلاثين وثلاثمائة (13) .

(11) البيان المغرب لابن عذارى ، ج 1 ، ص 27 مكتبة صادر .

(12) بالاباضية بالجريد . ص 117 . الميل 97 .

(13) ابن خلدون . ج 7 ، ص 28 .

وقبل أن نواصل حديثنا عن تفاصيل ثورته نأتى بنبرة
عن الجو المكفهر السائد فى ذلك الوقت بظلم العبيديين
وزندقتهم وكفرهم ونتاجول بالبحث ما قيل عن نسبهم ونأتى
ببعض ما أرادوا أن يحملوا عليه الشعب المسلم من الكفر
بوسائل التعذيب والقتل من مصادر صحيحة . ونختم بحثنا
عن تزييف الاكاذيب والافتراء عليه بالباطل بحجج لا تقبل
الطعن ونظهر الحقائق التى طمست أكثر من ألف عام حتى
يتضح الحق من الباطل وندحض ما ينسب زورا وبهتانا الى
من قادته غيرته الدينية الى الجهاد الى الانحراف فى آخر عمره ،
ورحم الله ابن النديم وقاضى القضاة عبد الجبار المعتزلى ،
حيث كشفوا الغطاء وأظهروا الحق لانهم لم يكونوا تحت سلطة
العبيديين فيسيروا فى خطتهم خوف بطشهم .

ثورة أبى يزيد جهاد لنصرة الاسلام

سببها ما قام به العبيديون من التخريب والقتل وارغام
الناس على الكفر وذلك أنه لما استولى العبيدى على البلاد
فخرب وأحرق أكثرها خصوصا العواصم منها مثل سجلماسة
وتيهرت والقيروان أظهر كفره وتفصيل ما قاموا به من
التخريب يطول (14) قال الامام ابن يمينه فى الرسالة الاولى :
بنو عبيد الله القداح ملاحدة زنادقة منافقين ، وكان نسبهم
باطلا كدينهم (15) . وقد أخرج عبيد الله العساكر الى
تيهت فى أعداد عظيمة وخلق لا يحصى كثرة فقتلوا الرجال

(14) البيان المغرب فى أخبار المغرب لابن عذارى ، ج 1 .

(15) مجموع الرسائل لابن تيمية . المطبعة العامرة 1322 بمصر ، ص 138 .

وسبوا النساء والذرية وانتهبوا الاموال وحرقوها بالنار ،
وبلغ عدد القتلى ثمانية آلاف رجل (16) .

يقول عثمان الكعاك قد أنشأ الرستميون مكتبة عظيمة
تعرف بالمعصومة تشتمل على كتب قيمة فى مختلف المذاهب
والتاريخ والعلوم الرياضية وغيرها أحرقها العبيديون عند
استيلائهم على تيهرت (17) ، وكذلك انتهب العبيدى ورجاله
سجلماسة واحرقها (18) . قال ابن عذارى تجول أبو عبد الله
الشيعة فى بلاد البربر وقتل الرجال وأخذ الاموال وسبى
الذرية وأحرق بعض المدن بالنار (19) . وقد أوقع على
ابن سليمان أحد قواد العبيدى بأهل نفوسة ودخل حصنهم
وهدمه وقتل الرجال وسبى الذرية (20) .

أصل العبيدى ونسبه

قال ابن عذارى : ان العبيدى دعى وان انتسايه للطالبيين
دعوة باطلة . وذكروا عن القاسم بن طباطبا العلوى أنه قال :
والله الذى لا اله الا هو ما عبىد الله منا ولا بيننا وبينه
نسب . وقد فضح القاضى أبو بكر بن الطيب الباقلانى
نسبه فى كتاب (كشف الاسرار وهتك الاشرار) وذكر أنهم
قرامطة وأن أبا عبد الله الشيعة أحدث لهم هذا المذهب

(16) ابن عذارى البيان المغرب . ج 1 ص 223 .

(17) موجز تاريخ الجزائر ، ص 205 .

(18) البيان المغرب ، ج 1 ص 210 .

(19) ابن عذارى ، ج 1 ص 230 .

(20) البيان المغرب لابن عذارى ، ج 1 ص 219 .

ونسبهم هذا النسب . وحكى بعض المؤرخين أن جعفر بن علي كانت له جارية ففشيها رجل من القرامطة وقيل من اليهود دفعت له مالا فكان يهواها وتهواه وقتلت جعفرا مولاهما فولد جد عبيد الله هذا . هكذا ذكر ابن القطان في نسبه (21) . قال ابن عذارى أن اسمه سعيد وانما تسمى بعبيد الله ليخفى أمره لانه كان عليه الطلب .

قال قاضى القضاة عبد الجبار أن دعاة الباطنية يعلمون أن سعيدا هذا ليس هو ابن الحسين بن محمد ، وانما هو ابن امرأة الحسين هذا وأبوه يهودى حداد من أهل سلمية من أرض الشام وأن الحسين لما تزوج بأمه حظيت عنده فأحب ولدها سعيدا هذا وانما رغب فيها لفرط جمالها ، وكان سعيد هذا يشبهها فى الجمال ، وكان له ذكاء وفطنة فتولى الحسين زوج أمه تربيته وتعليمه على ما يجب ويختار فقبل منه وأخذ عنه فعرفه حال الدعوة ، ورجالها وأسرارها ودعاتها وأين هم وكم هم وكيف كان أولها وابتداؤها وزوجه الحسين زوج أمه بنت أبى الشلعلع ، وأبو الشلعلع هذا من ولد عبد الله ابن ميمون القداح ، فولدت لسعيد أبنا فسماه عبد الرحمن . وقد علمتم أن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح بن ديسان (22) .

كنت حريصا فى الاطلاع على تاريخ الاسلام للامام الذهبى لما عرفته من أبحاثه القيمة فى رجال الحديث ورواته ، وبحث

(21) المصدر نفسه ص 265 .

(22) تثبيت دلائل النبوة . ج 2 ص 597 .

عنه ، فبلغنى أنه توجد نسخة منه ببغداد ونويت السفر الى بغداد للاطلاع عليها فقبل لى أنها قدمت للطبع ففرحت لذلك . ولكن لم يظهر لها أثر . وبلغنى أنها اكتشفت نسخة فى جامعة عين الشمس ، فبعثت من يقوم بأخذ صورة شمسية لها فرجع وقال اننى كلفت صديقا لى بذلك . ولكننى واصلت البحث حتى عثرت على نسخة فى المكتبة الوطنية قسم المخطوطات بباريس . وأخذت صورة فوتغرافية لما كتبه الامام الذهبى عن العبيديين وثورة أبى يزيد ، واليكم نص ما قاله فى الجزء الرابع صفحة 118 :

عبيد الله المهدي أول خلفاء الباطنية بنى عبيد أصحاب مصر والمغرب ، وهو دعى النسب ، ادعى أنه من ولد الحسين ابن على ، والمحققون متفقون على أنه ليس بحسينى . وما أحسن ما قال المعز صاحب القاهرة ، وقد سأله ابن طباطبا العلوى عن نسبهم فجذب نصف سيفه من الغمد وقال هذا نسبى ونثر على الحاضرين والامراء الذهب ، وقال هذا حسبى . توفي عبيد الله بالمغرب فلا رحم الله فيه مغز ابرة . قال أبو الحسن القابسى رحمه الله ان الذين قتلهم عبيد الله وبنوه ، أربعة آلاف رجل فى العذاب ما بين عايد وعالم ليردهم عن الترضى عن الصحابة فاختروا الموت وفى ذلك يقول سهل فى قصيدته :

واحل دار التمر فى أغلاله من كان ذا تقوى وذا صلوات

ودفن جميعهم بالمنستير وحولها . والمنستير بلسان الافرنج (المعبد الكبير) وبها قبورهم . وكانت دولة عبيد الله بضعا وعشرين سنة ، ويا حبذا لو كان ذا فصل ولكنه زنديق .

وحكى الوزير التفتضى فى سيرة بنى عبيد قال : كان أبو عبيد الله الشيعى أحد الدواعى وذلك أنه جمع مشائخ كتامة . وقال ان الامام كان بسلمية قد نزل عند يهودى عطار يعرف بعبيد فقام به وكنتم أمره ، ثم مات عبيد عن ولدين فأسلما وأمهما على يد الامام وتزوج بها وبقي مستترا والاخوان فى دكان العطر فولدت للامام ابنتين فعند اجتماعى به سألتها أى الابنين امامى بعدك ؟ فقال من أتاك منهما فهو أمامك . سرت فى احضارهما فوجدت أباهما قد مات هو وأحد الولدين ووجدت هذا فأتيت به وقد خفت أن يكون أحد أبنى عبيد اليهودى ، فقالوا وما أنكرت منه ؟ قال أن الامام يعلم الكائنات قبل وقوعها وهذا قد رحل معه بولدين وخص الامر فى الصغير بعده - فمات بعد عشرين يوما . فلو كان اماما لعلم بموته . قالوا ثم ماذا ؟ قال ان الامام لا يلبس الحرير ولا الذهب وقد لبسهما وليس له أن يخالف الله فيما تحقق أمره وقد وطىء نساء زيادة الله فتشككت كتامة فى أمره وقالوا ما ترى نقيضه ونسير من يكشف لنا غرض أولاد الامام على الحقيقة ، فأجمعوا أمرهم ووقف هرون بن يوسف كبير كتامة ، فوجد المهدي فقال له قد شككنا فى أمرك فأت بأية . فأجابه بأجوبة قبلها عقله وقال : تيقنتم واليقين لا يزول بالشك وان الطفل لم يمت وانه أمامك ، وانما الائمة ينتقلون وقد انتقل لاصلاح جهة أخرى فقال : أمنت بالله . ولبسك الحرير ؟ قال أنا المشرع أحلل لنفسى ما أريد ، وكل الاموال لى وزيادة ، كان غاصبا ، وأما أبو عبيد الله وأخوه فكانا يخبئان عليه فوثق من قتلهما ، ثم خر عليه جماعة من كتامة فظفر بهم

وقتلهم ، وخالفا أهل طرابلس فوجه ولده القائم لاختد مصر
 مرتين ويرجع مهزوما ، وبنى المهديّة ونزل بها سنة ثمان
 وثلاثمائة ، وعاش ثلاثا وستين سنة . وقال الامام الذهبي
 في صفحة 104 ما نصه : قال قاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد
 الجبار البصري ، لم أجد خلفاء المصريين سعيد ويلقب بالمهدي
 وكان أبوه يهوديا حدادا بسلمية ، زعم سعيد هذا أنه
 ابن الحسين بن محمد ، وأهل الدعوة يزعمون أن سعيدا انما
 ابن امرأة الحسين المذكورة ، وأن الحسين رباه وعلمه أسرار
 الدعوة ، وزوجه بنت أبي الشلعلع ، فجاءت بابن سماه
 عبد الرحمن . فلما دخل المغرب وبلغ سجداسة تسمى بعبيد
 وكنى بأبي محمد وسمى ابنه الحسين ، وزعمت المغاربة أنه
 يتيم رباه ، وليس بابنه وكناه أبا القاسم وجعله ولي عهده .
 وقتل عبيد الله خلقا من العساكر والعلماء وبث دعائه في
 الارض وكانت طائفة تزعم أنه الخالق الرازي ، وطائفة تزعم
 أنه نبي ، وطائفة تزعم أنه المهدي حقيقة . وقال القاضي
 أبو بكر بن البقلاني أن القداح جد عبيد الله كان مجوسيا ،
 ودخل عبيد الله المغرب وادعى أنه علوي ولم يعرفه أحد من
 علماء النسب وكان باطنيا خبيثا حريصا على ازالة ملّة
 الاسلام ، أعدم العلماء الفقهاء ليتمكن من اغراء الخلق ،
 وجاء أولاده على أسلوبه أباحو الخمر والفروج وأشاعوا
 الرفض وبثوا دعاة فآفسدوا عقائد خلف من جبال الشام
 كالنصرية والدرزية . وكان القداح كاذبا منحرفا وهو أصل
 دعاة القرامطة . وقال أيضا في كتاب كشف أسرار الباطنية
 أول من وضع هذه الدعوة طائفة من المجوس وابناء الاكاسرة

ثم قال اتفقوا على عبد الله بن عمرو بن سيمون القداح وأمدوه بالاموال ، وكان مشعوذا ، يظهر الزهد ، ويزعم أن الارض تطوى له وجد القداح هو ديسان . وجاء ابن القداح على أسلوب أبيه وكذا ابنه وهو الذى يقال له عبيد الله ويلقب بالمهدى صاحب القيروان وجد بنى عبيد الله الذى تسميهم جملة الناس الخلفاء الفاطميين ، وأهل العلم بالانساب المحققين ينكرون دعواه فى النسب ويقولون اسمه سعيد ولقبه عبيد الله وزوج أمه الحسين بن أحمد القداح . وأنه لما سار من الشام ووصل الى سجلماسة فالتقى باليسع آخر ملوك بنى مدرار ، واعلمه بأنه الذى يدعو له عبد الله الشيعى بالقيروان فسجنه . فجمع الشيعى جيشا من كتامة وقصد سجلماسة وأخرج عبيد الله وبايعه الناس وسلم اليه الامر . ثم ندم ووقعت الوحشة بينهما كما تقدم قبل هذا فى موضعه من هذا الكتاب ، وآل الامر أن المهدي قتل أبا عبد الله الشيعى وأخاه ودان له المغرب وبنى مدينة المهدية والله أعلم .

وبعد أن نقلت حرفيا ما وجدته فى تاريخ الاسلام للامام الذهبى فاتنى أن أنقل أيضا عن أحد كبار الباحثين فى التاريخ وأبرز شخصية من تلامذة ابن خلدون وهو تقي الدين أحمد بن عبد الله المقرئى وان كان يشيد بمدحهم ويذكر مآثرهم ويفتخر بهم فانه لم يمنعه ذلك عن نشر ما ورد من الطعن فى نسبهم من مصادر موثوق بها ، ولا مجال للشك فى صحتها . وقد كتب ذلك فى موسوعته الكبيرة كما يسميها الدكتور جمال الدين الشيال « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » وفى كتابه « اتعاض الحنفا باخبار

الائمة الفاطميين الخلفاء » . واخترت أن أنقل عن هذا الاخير
فانه ألف فى تمجيدهم فيكون ما ذكر من الطعن فيهم أبلغ
وأصدق ، وكل جملة ذكرها غيره فانى أضيف على الهامش
مصدرها . قال ما نصه (صفحة 22) : وقد وقفت على مجلد
يشتمل على بضع وعشرين كراسة فى الطعن على انساب
الخلفاء الفاطميين ، تأليف الشريف العابد المعروف بأبى
محسن وهو محمد بن على بن الحسين فأوصل نسبه الى جعفر
الصادق ويكنى بأبى الحسين (23) . وهو كتاب مفيد . وقد
عبرت فيه زمنا أظن انه قائل ما اذا حاكيه حتى رأيت محمد
ابن اسحاق النديم فى كتابه الفهرست ذكر هذا الكلام
بنصه (24) . وعزاه الى أبى عبد الله بن رازم . وانه ذكره
فى كتابه الذى رد فيه على الاسماعلية قال هؤلاء القوم من
ولد ديسان التنوى وهو ممن تنسب اليه التنوية وهو مذهب
يعتقدون فيه خالقيين أحدهما يخلق النور والآخر يخلق
الظلمة . فولد ديسان هذا ابنا يقال له ميمون القداح وكان
له مذهب فى الغلو فولد لميمون هذا ابن يقال له عبد الله ،
كان أخبث من أبيه فعمل أبوابا عظيمة من المكر والخديعة على
بطلان الاسلام ، فرتب ما جعله فى سبع دعوات يتدرج الانسان
من واحدة الى أخرى حتى ينتهى الى الاخيرة فيبقى معرى من
جميع الاديان لا يعتقد غير التعطيل والاباحة ، ولا يرجو
ثوابا ، ولا يخشى عقابا . ويقول انه على هدى هو وأهل
مذهبه وغيره . قال مغفل وكان عبد الله بن ميمون يريد بهذا

(23) علوى عاش فى النصف الثانى من القرن الرابع .

(24) ورد فى لابن النديم . صفحة 264 - 265 تحت عنوان الكلام على
مذهب الاسماعلية .

فى الباطن أن يجعل المخدوعين أمة له يستمد من أموالهم
 بالمكر والخديعة ، وأما فى الظاهر فإنه يدعو الى الامام من
 آل البيت ليجمع الناس بهذه الحيلة . وكان عبد الله بن ميمون
 هذا أراد أن يتنبأ فلم يتم له فولد له ولد يقال له أحمد فولد
 له ولدان هما الحسين ومحمد المعروف بأبى الشلعلع . وكان
 للحسين ابن اسمه سعيد فبقيت الدعوة له حتى كبر ، وقد كان
 أشهر أمرهم بسلمية ، وأيسروا وصارت لهم أملاك كثيرة
 فبلغ خبرهم السلطان فبعث فى طلبهم ففر سعيد من سلمية
 يريد المغرب ، وكان على مصر يومئذ عيسى النوشرى واليا على
 مصر ، فدخل سعيد على النوشرى فناداه ، فبلغ السلطان
 خبرهم فبعث فى طلبهم وألقى القبض عليه وفى المجلس أحد
 أصدقائه فبعث اليه يحذره فهرب سعيد وكبس النوشرى داره
 فلم يوجد فبعث النوشرى الى والى الاسكندرية بالقبض على
 سعيد . وكان والى رجل اسمه على بن وهودان وكان سعيد
 خداعا فلما قبض عليه قال انى رجل من آل الرسول فرق له
 ابن هودان وخلاه فسار حتى نزل سجلماسة وهو فى زى التجار
 فتقرب الى وليها وأقام عنده مدة ، فبلغ الخليفة العباسى خبره
 فبعث فى طلبه فلم يقبض عليه والى سجلماسة ، فورد عليه
 كتاب آخر فقبض عليه وحبسه ، وكان خبره قد اتصل بأبى
 عبد الله الداعى فسار حينئذ بالبربر الى سجلماسة وقتل
 واليها وأخذ سعيدا وصار صاحب الامر وتسمى بعبيد الله
 وتكنى بأبى محمد وتلقب بالمهدى ، ولم يلبث الا يسيرا حتى
 قتل أبا عبد الله الداعى وتملك البربر وقلع بنى الاغلب ولاة
 المغرب . قال فعبيد الله الملقب بالمهدى هو سعيد بن الحسين

ابن أحمد بن عبد الله ابن ميمون القداح بن ديسان التنوي
 الاهوازي وأصلهم من المجوس . وكان أبأؤه يظهر من التشيع
 والعلم وأنهم يدعون الى الامام اسماعيل بن جعفر ، وأنه
 حى لم يمت ، وهذا القول باطل ، وباطنهم غير ظاهرهم ،
 وليس يعرف هذا القول الا لهم ، وهم أهل تعطيل وإباحة .
 وانما جعلوا علاقتهم بآل رسول الله بابا للخديعة والمكر ،
 ولم يتم لسعيد أمر بالمغرب الى أن قال أنا من آل رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فتم له بتلك الحيلة والخديعة وشاع بين
 الناس أنه علوى فاطمى من ولد اسماعيل بن جعفر
 فاستعبدهم بهذا القول ، وخفى أمر مذهبه عليهم الا من كشف
 له من خاصته ودعاته فى تعطيل البارى والطمع عليهم وعلى
 جميع الانبياء ، وإباحة نفس أممهم وأموالهم وحریمهم ، لما
 استولى العبيديون على مصر جمع عضد الدولة أبو شجاع
 فناخسرو ابن الحسن الديلمى صاحب بغداد جميع العلويين
 ببغداد وقال لهم : هذا الذى بمصر يقول أنه علوى منكم ،
 فقالوا ليس هو منا ، فقال لهم ضعوا خطوطكم ، فوضعوا
 خطوطهم أنه ليس بعلوى ، ثم أنفذ الى نزار بن معد رسول
 الى مصر يقول له نريد أن نعرف ممن أنت ، فعظم ذلك عليه
 فذكر أن قاضيه ابن النعمان سابق الامر لانه كان يلى أمر
 الدعوة والمكلف بثه فى أمرها فنسب نزار الى آبائه وكتب
 نسبه وأمر به أن يقرأ على المنابر الى أن بلغ لعبيد الله
 المهدي قال ابن الاثيمة المستضعفين وقطع ثم أنهم قتلوا
 رسول فناخسر بالسهم الى أن قال ، وقد اسجل القضاة ببغداد
 بنفيهم بهذا النسب وشهد بذلك من أعلام الناس جماعة منهم

الشريف الرضى وأخوه المرتضى وابن البطحاوى ، ومن
 العلماء أبو حامد الاسفراينى والقنودرى والصميرى
 وابن الاكفانى والابيورى وأبو عبد الله ابن النعمان فقيه
 الشيعة وغيرهم من أعلام الايمة ببغداد فى يوم مشهود ، وذلك
 سنة اثنين واربعمائة . وكان ميمون بن ديسان يلحق لكل من
 وثق به أن لكل شىء من العبادات باطنا ، وأن الله لم يوجب
 على أوليائه ومن عرف به من الايمة والابواب صلاة ولا زكاة
 ولا غير ذلك ، ولا حرم عليهم شيئا . وأباحوا لهم نكاح الامهات
 والاخوات وقالوا هذه قيود للعامة وهى ساقطة عن الخاصة ،
 وكانوا يظهرون التشيع لآل النبىء صلى الله عليه وسلم
 ليستروا أمرهم ويستميلوا العامة ، وتفرق أصحابهم فى
 البلاد وأظهروا الزهد والعبادة يغفرون الناس بذلك وهم على
 خلافه ، وتفرقت هذه الطائفة فى البلاد ، وتعلموا السعوزة ،
 فهم يحتالون على كل قوم باظهار على أسرار هذه النحلة ،
 فحذق وتقدم ، وهذا ما أورده المقرئى فى كتابه « اتعاظ
 الحنفا من ص 22 الى ص 55 » ونقلته عنه باختصار . وقد أورد
 هذا مع اختلاف يسير فى التعبير فى كتابه « المخطوط والاعتبار »
 ج 2 ص 158 تحت عنوان « أذكر ما قيل فى نسب الخلفاء
 الفاطميين بناة القاهرة » ونقل جزءا آخر فى الخطط ج 2
 ص 223 - 234 . ونقله ابن النديم الفهرست ص 264 - 265
 تحت عنوان « الكلام على مذهب الاسماعلية » فهو متفق مع
 هذا النص فى المعنى وإن اختلف عنه فى اللفظ . ونقل
 كذلك عن ابن رازم غير من ذكر مؤيدين لمقاله مثل ابن النديم
 فى الفهرست ص 264 - 266 .

قال العلامة الفقيه محمد بن مالك الحمادى اليمانى من فقهاء السنة فى أواسط المائة الخامسة للهجرة . وقد تمكن من الاندساس بين الصلحيين من أهل هذا المذهب فى اليمن حتى خبر خبرهم ودرس ظاهريهم وباطنهم . ثم ألف هذا الكتاب تحذيرا للمسلمين من الاغترار بمبادئ دعوتهم . وسمى كتابه كشف الاسرار الباطنية وأخبار القرامطة . طبع بمصر سنة 1939 . قال ما نصه ص 16 .

المقالة فى أصل هذه الدعوة الملعونة ومبادئها

وقد رأيت أيها الناس وفقنا الله وأياكم للصواب وجنبنا وإياكم طرق الكفر والارتياب أن ذكر أخيار هذه الدعوة الملعونة لنلا يميل الى مذهبه مائل . ولا يصبوا لمقاتلتهم لبيب عاقل . اعلّموا يا اخوانى فى الاسلام أن لكل من أسباب الخير والشر والنفع والضرر والداء والدواء أصولا ، وللأصول فروعا ، وأصل هذه الدعوة الملعونة التى استهوى به الشيطان أهل الكفر والشقاء ظهور عبيد الله بن ميمون القداح وما كان له من الاخبار المعروفة والمنكرات المشهورة ، نصب للمسلمين الحبائل وبغى لهم الغوائل ، ولبس الحق بالباطل ، ومكر أولئك هو يبور . وجعل لكل آية من كتاب الله تفسيرا ولكل حديث عن رسول الله تأويلا . وكان هذا الملعون يعتقد اليهودية ويظهر الاسلام ، وهو من اليهود من ولد الشلعلع ، وكان حريصا على هدم الشريعة الاسلامية المحمدية لما ركب الله فى اليهود من عداوة الاسلام وأهله والبغضاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فلم يجد ما يروجه ويدخل به على الناس

حتى يرددهم عن الاسلام الطف من دعوته الى اهل بيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر ما كان من القداح وعقبه لعنه الله

كان من اولاد عبيد الله وهو المهدي واليه تنسب دولتهم ،
فيقال الدولة العبيدية . ويتورع اهل التحرى من تلقيب
دولتهم بالفاطميين حيث لم يثبت نسبهم المزعوم كما حققه
اهل التحرى من ثقات المؤرخين وانتحالهم الشرف انتحال
كاذب وليس لهم برهان على ذلك واهل الشرف ينكرون ذلك ،
والكل يقصيههم عن الشرف الا من دخل فى كفرهم وضلالهم
فانه يشهد لهم بالزور . والدليل على أنهم من ولد اليهود ،
استعمالهم اليهود فى الوزارة والرياسة وتفويضهم فى تدبير
السياسة . وما زالوا يحكمون اليهود فى دماء المسلمين .

وقد استجاب له حينما كان بالكوفة قبل قدومه للمغرب
تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون . منهم
أبو سعيد الجحباب لعنه الله . وفى نهاية الارب جزء خاص
بتاريخ العبيديين لا يزال مخطوطا . أتى فيه بأدلة قاطعة فى
الطعن فى نسبهم .

قال ابن النديم ان عبد الله بن ميمون ويعرف بميمون
القداح ، وكان من اهل فوزى العباس قرب مدينة الاهواز ،
وأبوه ميمون الذى تنسب اليه الفرقة المعروفة بالميمونية
التي أظهرت اتباع أبى الخطاب محمد بن أبى زينب الذى دعا
الى الالهية على بن أبى طالب رضى الله عنه . وكان ميمون وابنه

ديصانيين ، وادعى عبد الله أنه نبيء مدة طويلة . وكان يظهر
الشعائر ويذكر أن الارض تطوى له ، فامضى الى أين أحب فى
أقرب وقت ، وكان يخبر بالاحداث الكائنات فى البلدان
الشاسعة ، وكان له مرتبون فى موضع يرغبهم ويحسن اليهم
ويعاونوه على نواميسه ومعهم طيور يطلقونها من المواضع
المتفرقة الى الموضع الذى فيه بيت عبد الله فيخبر من حضره
بما يكون ، فيموه بذلك عليهم . وفى أيام عبيد الله بالمغرب
ظهر فى كثير من اتباعه الاستخفاف بالشرعية . فخرج
عليهم رجل يعرف بأبى يزيد المحتسب واسمه مخلد بن كيداد
البربرى الزناتى من بنى يفرن الاباضى ، ويعرف بصاحب
الحمار ، فكثرت اتباعه ومعاونوه ، فحارب ابنه الحسن وحصره
بالمهدية الى أن مات الحسن فى الحصار ، فقام بعده ابنه
اسماعيل ويكنى أبا طاهر فأظهر تعظيم الشريعة حتى مات
أبو يزيد فأظهر اسماعيل الاستخفاف بالشرع فعاجله الله
بالمنية . هذا بعض ما أورده ابن النديم فى الفهرست . وذكر
الشيخ محمد الباجى المسعودى فى الخلاصة النقية فى أمراء
افريقيا ص 38 - 39 . لما مات العبيدى قام بعده ابنه القائم
أبو القاسم محمد فآظهر الحزن الشديد على موت أبيه ، ولم
يزل قاهرا الى أن ثار عليه أبو يزيد صاحب الحمار مخلد
ابن كيداد اليفرينى وأبوه كيداد من بلد توزر . وكان من
خبره أنه ظهر بجبل أوراس داعيا الى الحق أخذا بالحسبة
منكرا مذهب العبيدى ، وقد أنكره جميع الافارقة ، فاستمال
الناس باظهار السنة ، وتسمى شيخ المؤمنين ، وزحف لافريقيا
بجنود من البربر ووالى الهزائم على جيوش القائم الى أن هلك
القائم حزنا وغما .

قتل أبى عبد الله وأخيه أبى العباس وأبى زاكى

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتق شر من أحسنت اليه » ، وأكبر دليل على أن العبيدى من الاشرار انه كان مختفيا يتنقل من مكان الى آخر ، وقد سجن فى آخر المطاف . وجاء أبو عبد الله الشيعى فتنازل على ملكه الذى استولى عليه بحرب ضروس وأجلسه على سرير الملك ومكنه من الابهة ما لم يكن يحلم به . والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « أبت النفس الخبيثة أن لا تخرج من الدنيا حتى تسىء لمن أحسن اليها » .

لم يقض عليه وحده وانما أمر بقتل أخيه أبى العباس وزكرى . ولم يكتف بهؤلاء وانما ذهب الى أكثر من ذلك حارب كتامة الذين مهدوا له الملك بحرب طاحنة خاضوها مع دولة بنى مدار بسجلماسة (تفيلا لت) ودولة بنى رستم بتيهت ، ودولة بنى الاغلب بالقىروان .

قال الباجى السعوى :

ان الداعى أبا عبد الله الشيعى أنكر سيرة المهدي وذكر أنه غلط فى تقديمه وأنه غير الامام المنتظر ونما ذلك لعبيد الله فقتله هو وأخوه أبا العباس فى مستهل ذى الحجة من سنة 298 ، فكتب الى الشرق يقول أما بعد فقد علمتم محل أبى عبد الله وأخيه أبى العباس من الاسلام فاستزلهما الشيطان فطهرتهما بالسيف والسلام . وذكر المقرئ فى صفحة 67 ما نصه : قال ان المهدي لما استقامت له البلاد باشر

الامور بنفسه وكف يد أبى عبد الله وأخيه أبى العباس .
وعظم على أبى العباس الفطام على الامور والنهى والاخذ
والعطاء فاقبل يزرى على المهدي .

كان أبو سعيد الجنابي فيلسوفا ملعوناً ملك البحرين
والاحساء وادعى فيها أنه المهدي دخل مكة وقتل الناس في
المسجد الحرام ومنع الناس من الحج وقلع الحجر الاسود وراح
به الى الاحساء وقال في ذلك شعرا .

ولو كان هذا البيت لله ربنا لصب علينا النار من فوقنا صبا
لانا حجبنا حجة جاهلية مجللة لم تبق شرقا ولا غربا
واذا تركنا بين زمزم والصفاء جنائز لا تبغى سوى ربها ربا

وكان دخوله مكة لعنه الله سنة (سبعة عشر وثلاثمائة)
وقتل فيها ثلاثة عشر ألفا لعنه الله . اهـ بنصه . وقد حارب
الصليحي المجاهد ابراهيم ابن قيس الحضرمي رحمه الله
واستولى على اليمن واتخذ حضر موت عاصمة ملكه وله ديوان
كله دعوة لمحاربة الصليحي . ورأيت بالمكتبة الوطنية بباريس
كتابا كله طعن في الروافض تحت اسم : « اليمانيات
المسلولة على الروافض المخدولة » رقم 1462 .

قام أبو العباس في مجلس أخيه أبى عبد الله
ولامه قال له ملكت أمرا فجئت بمن أزالك
عنه ، وكان الواجب عليه أن لا يسقط حقه وما زال به حتى
قال للمهدي : لو كنت تجلس في قصرك وتتركني مع كتامة
أمهم وانهاهم لاني عارف بعبادتهم لكان ذلك أهيب لك في
أعين الناس . وأخذ أبو العباس يسر الى المقدمين بما في نفسه

ويقول : ما جازاكم على ما فعلتم بل أخذ هو الاموال من
أبا كجان ولم يقسمها فيكم وكل ذلك يبلغ للمهدى وهو
يتغافل حتى قال أبو العباس ان هذا ليس بالذى كنا نعتقد
طاعته وندعو اليه لان المهدى يأتى بالآيات الباهرة ، فأثر
ذلك فى قلوب كثير من الناس حتى أن بعضهم من كتامة واجه
المهدى بذلك وقال ان كنت المهدى فاطهر لنا آية فقد شككنا
فيك ، وبلغ المهدى ان أبا عبد الله قد اتفق مع أخيه بجماعة
من كتامة على قتله فأخذ المهدى فى تفريق القوم فى البلاد ،
وكان كبيرهم أبو زاكى تمام ابن مغارك الانكجاني فسيه
واليا على طرابلس ، وكتب الى عاملها سرا بقتله عند وصوله
فلما وصل أبو زاكى قتله العامل وأرسل برأسه الى المهدى ،
وأخذ حينئذ فى قتل الجماعة ، وأعد رجالا لابی عبد الله
وأخيه أبى العباس فلما وصلا الى قرب القصر حمل القوم على
أبى عبد الله فقال لا تفعلوا فقالوا : ان الذى أمرتنا بطاعته
أمرنا بقتلك . فقتل هو وأخوه فى اليوم الذى قتل فيه
أبو زاكى ، وذلك يوم الاثنين للنصف من جمادى الآخرة
(سنة ثمان وتسعين ومائتين بمدينة رقادة) . وثارت فتنة
بسبب قتلها وجرى أصحابها السيوف فركب المهدى وأمن
الناس فسكنوا ، ثم تتبعهم حتى قتلهم وخالفت عليه كتامة
فبعث اليهم ابنه أبا القاسم فقاتلهم حتى هزمهم ، وقتل منهم
خلقا كثيرا وخالفت عليه أهل صقلية فانفذ اليها وقتل من
أهلها وخالف عليه أهل تيهرت فغزاها وتبع بنى الاغلب
بالقيروان فقتل منهم جماعة برقادة اهـ . ذكر د . جمال الدين
سرور الاستاذ بجامعة القاهرة فى كتابه « الدولة الفاطمية

بمصر » ما نصه ص 35 . على الرغم من أن الدولة الفاطمية
تدين بظهورها لابي عبد الله الشيعي فان عبيد الله المهدي
لم يلبث ان عمل على التخلص منه لان أبا عبد الله كان موضع
ثقة كثير من الكتاميين كما علت مكانته بين أهالي بلاد المغرب
مما أثار حنق عبيد الله المهدي عليه فخشى أن يفتتن به الناس
فيضعف بذلك نفوذه . لذلك أمر بقتل كل من أبى عبد الله
وأخيه العباس في جمادى الآخرة سنة 298 هـ ، أثار حادث
مقتل أبى عبد الله الشيعي أهالي بلاد المغرب فثارت طرابلس
واشتبك الكتاميون مع أهل القيروان غير ان عبيد الله ما لبث
ان تمكن من اخماد تلك الثورات ، ثم عهد عبيد الله الى ولده
أبى القاسم فبعثه على رأس حملة لمحاربة الكتاميين فقاتلهم
وأوقع بهم الهزيمة اه بنصه . وقديما قيل :

ومن يصنع المعروف فى غير أهله
يلاقى الذى لاقى مجير أم عامر

أظهار العبيديين الكفر وارغام الناس عليه

قال ابن عذارى : لما دخل عبيد الله القيروان أمر ان تقلع
من المساجد والمآجل والقصور والقناطر اسماء الذين بنوها
وكتب عليها اسمه ، وأظهر عبيد الله مذهبه القبيح وسب
أصحاب النبىء صلى الله عليه وسلم وأزواجه حاشا على
ابن أبى طالب وأربعة معه ، وزعم أن أصحاب النبى صلى الله
عليه وسلم ارتدوا بعده ومنع ان يفتى بغير مذهبه منه
سقوط الحنث عمن طلق البتة واحاطة البنات بالميراث وأشياء
كثيرة يطول ذكرها . ومدحت الشعراء عبيد الله بالكفر

فاستجازه ، وكان فيما مدح به شعر لمحمد بن البديل كاتب
أبى فضاة .

حل بركة المسيح حل بها آدم ونوح
حل بها أحمد المصطفى حل بها الكباش والذبيح
حل بها الله ذو المعالي وكل شيء سواه ريح
لعنه الله وغضب عليه وأخزي القائل والمقول فيه .
وكانت كتامة فى يمينها تقول وحق عالم الغيب والشهادة مولانا
المهدى الذى بركة حتى كتب بعض أهل القبروان هذين
البيتين وتلطفوا فى وصولهما اليه من حيث لا يعلم :
بالجور والظلم قد رضىنا وليس بالكفر والحقاقة
ان كنت أوتيت علم غيب بين لنا صاحب البطاقة
فاشدد ذلك عليه لما وصل اليه وكشف سرا عن كاتب ذلك فلم
يقع له على خبر اه (25) .

أورد ابن عذارى بعض أبيات تدل على ما كان يستحله
ويجوز عنده من الكفر :

لئن عظم الحرام وما يليه
كما عظمت مشاهده العظام
لقد عظمت بأرض الغرب داره بها الصلوات تقبل والصيام
هى المهدية الحرم الموقى كما بتهامة البلد الحرام
كان مقام ابراهيم فيه نرى قدميك ان عدم المقام
وان لثم الحجيج الركن أضحي لنا بعراض قصركم التثام (26)

(25) ابن عذارى البيان المغرب . ج 1 ص 220 - 221 .

(26) نفس المصدر ص 258 .

يقول ابن عذارى أن عبيد الله وجه جماعة الى الاطراف
لاظهار مذهبه ونشره منهم منيب بن سليمان قال لهم أن
وجدوا الناس محتملين له ومغضبين عليه نشره عند العامة
وأظهروه ، فلما كشف منيب بجبل وانشرى ما أمره به
عبيد الله كان الرجل يدخل الى حليمة جاره فيطأها وزوجها
ينظر اليه ، ثم يخرج فيبصق فى وجهه ويصفع قفاه ويقول
له تصبر فاذا صبر عد كامل الايمان فقام عليهم الناس وقتلوا
بعضهم فكفوا اه (27) . يقول ابن عذارى بعث عبيد الله
أحد قواده أبو معلوم فحلون الكتامى الى جبل أوراس فكلف
أهله فوق وسعهم وأمرهم برفع عيالاتهم الى المهدية فأظهروا
الطاعة وشرعوا فيما أمرهم به فلما كان فى بعض الليالى
وثبوا عليه وعلى جند كتامة الذين معه فقتلوهم أجمعين (28)
وقد ضرب الفقيه محمد بن العباس المهدى بالدرة فى جامع
القيروان عريانا لانه يفتى بقول الامام مالك وصفع على قفاه
حتى جرى الدم من رأسه وطيف به فى الاسواق (29) . ولما
ولى أبوه القاسم بن عبيد الله بعد موت أبيه أظهر مذهبه
وأمر بسب الصحابة وغير ذلك من تكذيب كتاب الله . قال
ابن عذارى لما وصل عبيد الله الى رقادة أرسل الى القيروان من
أتاه بأبى اسحاق ابراهيم بن محمد المعروف بابن الفرزدق
وبابن هذيل وكانا من العلماء الخاشعين لله ، فلما وصلا اليه
وجداه على سرير ملكه جالسا وعن يمينه أبو عبد الله الشيعى

(27) ابن عذارى البيان المغرب ، ج 1 ص 291 .

(28) نفس المصدر ، ص 263 .

(29) ابن عذارى البيان المغرب ، ج 1 ص 265 .

وعن يساره أخوه أبو العباس ، فقال لهما أبو عبد الله وأخوه
اشهد أن هذا رسول الله . فقالا معا بلفظ واحد (والله الذى
لا اله الا هو لو جاءنا هذا والشمس عن يمينه والقمر عن
يساره ، وينطقان ويقولان أنه رسول الله ما قلنا به) فأمر
عبيد الله عند ذلك بذبحهما وربطهما الى أذنان الخيل وأن
يطاف بهما فى القيروان ففعل بهما ذلك رحمة الله عليهما (30)

قال ابن عذارى : وخرج شيخ فى دولة بنى عبيد الله
للسفر ومعه خيل فأتوا فى المسجد بخيولهم فقبل لهم : كيف
تدخلون خيولكم المسجد ؟ فقال لهم الشيخ وأصحابه أن روثها
وأبوالها طاهرة لأنها خيل المهدي . فقال لهم القيم بالمسجد :
ان الذى يخرج من المهدي غير طاهر فكيف الذى يخرج من
خيله فقالوا له : طعنت على الهدى ، وأخذوه وذهبوا به اليه
فأخرجه عشية يوم الجمعة فقتله . وهذا دليل على هوان الدنيا
على الله وصغر قدرها عنده اذ مكن فيها لهؤلاء الكفرة الفجرة
يسومون أولياء الله سوء العذاب (31) . قال ابن عذارى :
ان الحجر الاسود أرسله اللعين الجنابى الى عبيد الله بالمهدية
ولما مات لم يستقر فى قبره . فقبل لابنه أبى القاسم ان هذا
لاجل الحجر الاسود فرده (32) . وكان مدعى النبوة
وصوت المؤذن بذلك فوق صومعة القيروان فضج المسلمون
من ذلك وهذا بعد موت أبى يزيد (33) . قال ابن عذارى

(30) ابن عذارى البيان المغرب . ج 1 ص 408 - 409 .

(31) البيان المغرب . ج 1 ص 410 .

(32) المصدر نفسه . ص 411 .

(33) المصدر نفسه . ص 412 .

أرسل العبيديون داعيا الى مكة فلما طلع المنبر وذكر ما ذكر اقتحم عليه الناس فقطع قطعة . ثم أرسلوا رجلا آخر من خرسان من بنى عمهم ف ضرب الحجر الاسود بدبوس العبيدي الملقب بالحاكم فقتل من حينه وأخذة الناس قطعة قطعة وأحرق بالنار . وأرسلوا لعنهم الله الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم من ينبش قبره العظيم فسمع الناس صائحا يقول : (القبر ينبش ففتشه الناس فوجدوه وأصحابه فقتلوه) وجعل أحدا داعيا يدعو الناس لعبادته وكتب كتابا ذكر فيه تعالى الله عن ابطال المبطلين علوا كبيرا الحمد لمولاي الحاكم وحده باسمك اللهم الحاكم بالحق ، ثم تهادى فقال توكلت على الاهى أمير المؤمنين جل ذكره وبه نستعين فى جميع الامور ، ثم طول الكتاب فمرة يجعله أمير المؤمنين ومرة يجعله الالاه وذكر أشياء يطول ذكرها (34) . وأرسل من كتب فى أستار الكعبة سب الصحابة فى ليلة ظلماء فأصبح الناس فوجدوه فضج المسلمون لذلك وأكثروا البكاء لسب الصحابة رضى الله عنهم (35) . (ذهب جميع علماء المذاهب حتى الشيعة يشكون لابی يزيد) .

وقد قتل العبيدى كثيرا ممن رفضوا الدخول فى مذهبه (36) . وكان دعائته ومن والاهم يقسمون (وحق عالم الغيب والشهادة مولانا المهدي الذى برقادة) .

قال قاضى القضاة عبد الجبار بن أحمد المعتزلى الهمداني المتوفى سنة 415، وكان صغيرا ايام ابي يزيد ما نصه حين مات

(34) البيان المغرب ، ج 1 ص 313 .

(35) نفس المصدر ، ص 314 .

(36) تاريخ الدولة الفاطمية ص 328 .

سعيد الذى تسمى بعبيد الله قام ابنه أبو طاهر فقتل الناس هذا
أكفر من أبيه ، وقد أظهروا بأرض المغرب شتم نبي العرب
وأصحابه فقالوا ألعنوا عائشة وبعلمها ولعنوا جميع الانبياء
وأظهروا الباطل كله وبعثوا الدعاة الى سعيد (وهو العبيدى)
انه اله حق وأنه هو الذى فتق ورتق وأمات وأحيا ونكحوا
البنات حتى كان مثل أبى الاسود وأبو طاعة من الدعاة قد
نكحوا بناتهم حتى ذهب الناس جميعا حتى الشيعة الى
أبى يزيد مغلد بن كيداد وهو من الشراة وشكوا اليه ذهاب
الاسلام بهؤلاء المشاركة قالوا وان كان من الشراة فليس
ينكر الربوبية ولا يكذب الرسل ولا يلعن الانبياء ومعه حفظ
الاموال ، فساروا معه الى بعد موت أبيه فانفذا اليهم عسكرا
بعد عسكر فمالزال يهزمهم الى أن وافى باب المهديّة فأغلق بابيه
دونهم فأخذ الحلقة بيده وهو شيخ كبير لا يمكنه لعجزه وكبره
أن يركب فرسا فكان يركب حمارا فحاصر ابن سعيد فى
المهديّة مع عساكره فمات فى حصاره فرق آمنه فقام اسماعيل
ابنه من بعده وحاصره صاحب الحمار حتى أكلوا براذيتهم
وحتى ذلوا له وخضعوا ، وقد دوخهم خمس سنين واستولى
مع عجزه وضعفه على أكثر ممالكهم الى أن تمت حيلته عليه .
وقال الامام الذهبى فى صفحة 162 من تاريخ الاسلام ما نصه :
بويغ القائم بعد موت أبيه عبيد الله سنة اثنين وعشرين
وثلاثمائة ، وقد خرج عليه سنة اثنين وثلاثين مغلد
ابن كيداد وكانت بينهما وقائع مشهورة وحصره مغلد
بالمهديّة وضيق عليه واستولى على بلاده فعرض للقائم
وسواس واختلط عقله ومات فى تلك الحال فى شوال وله

خمس وخمسون سنة . وقام بعد موته ولده المنصور بالله
 أبو طاهر اسماعيل ولده . وكان القائم شرا من أبيه المهدي
 زنديقا ملعونا . ذكر القاضي عبد الجبار أنه أظهر سب
 الانبياء عليهم السلام ، وكان ينادى ألعنوا الغار وما حوى
 وقتل خلقا من العلماء وكان يرأسل أبا طاهر القرمطي الى
 البحرين وهجر ويأمره باحراق المساجد والمصاحف ، ولما كثر
 فجوره اجتمع أهل الجبال على رجل من الاباضية يقال له
 مغلد بن كيداد ، وكان شيخا لا يقدر على ركوب الخيل فركب
 حمارا وكان وزيره أعمى فاجتمع معه خلائق فصار فحصر
 القائم بالمهدية ، وكان مغلد أعرج يكنى أبا يزيد وهو من
 زنادة قبيلة كبيرة من البربر ، وكان تنسك يلبس الصوف
 ويركب حمارا ولا يثبت على الخيل ، وكان نافذ الامر في
 البربر زاهدا دينيا خارجيا قام على بنى عبيد والناس على فاقة
 وحاجة لذلك فقاموا معه وأتوه أفواجا ففتح البلاد ، ودخل
 القيروان فتحرر منه المنصور وتحصن بالمهدية التي بناها جده
 ونفر مع مغلد الخلق والعلماء والصلحاء منهم الامام أبو الفضل
 المصطفى والعباس بن عيسى الفقيه وأبو سليمان ربيع القطان
 وأبو العرب ابراهيم بن أحمد قال القاضي عياض في ترجمة
 العباس بن عيسى هذا وركب أبو العرب وتقلد مصحفا وركب
 الفقهاء بالسلاح وشقوا القيروان وهم يعلنون بالتكبير والصلاة
 على النبي صلى الله عليه وسلم والترضى على الصحابة وركزوا
 بنودهم عند باب الجامع وهي سبعة بنود فيها لا اله الا الله
 ولا حكم الا لله وهو خير الحاكمين وبنودان أصفران لربيع
 القطان فيهما نصر من الله وفتح قريب . وبند مغلد بن كيداد

فيه اللهم انصر أوليائك على من سب نبيك . وبند أبى العرب
فيه قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله . وبند أصفر لابن النصر
الزاهد فيه قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم . وبند أبيض - فيه
محمد رسول الله أبو بكر الصديق محمد رسول الله . وبند
أبيض لابراهيم بن محمد فيه : **الا تنصروه فقد نصره الله ،**
الآية . وحضرت الجمعة فخطبهم أحمد بن أبى الوليد وحض
على الجهاد ، ثم ساروا ونزلوا المهديّة اه بنصه .

وقتل الدعاء فقال للعامة من سمعتموه يلعن الانبياء
فاقتلوه وأنا من ورائكم واذا للفقهاء والمحدثين وخضع
للعامة وزعم ان الذى كامن الدعوة ومن المنشدين كان بغير
علم أبى ولا علم جدى وخفف الخراج وأظهر الشغل
بالفقه (37) ، ولما مات أبو يزيد أظهر الاستخفاف بالدين (38)

قال قاضى القضاة وكان لهؤلاء الباطنية مجالس التغذية
يجعلون لكل شىء باطنا ويقولون أليس الله قال : حرمت
عليكم الميتة ونحن وأنتم لا نأكل لحم الذبيحة حتى تموت ولا
نأكل السمك حتى يموت وانما معنى هذا أن النبى صلى الله
عليه وسلم قد مات وحرام أن تقام شريعته وينبغى أن يمتثل
أمر العزيز مولانا الذى هو حجة الله ، وهذا أعلم الخلاصة
وأما الفقهاء الحميم وأهل الظاهر لا يعرفون هذا ويقولون
لطائفة أخرى ما عليكم صلاة ما دام فى الدنيا لكم عدو يمنعكم
من التمكن فى الارض فان الله يقول : **(الذين ان مكناهم**

(37) تثبت دلائل النبوة ، ج 2 ص 391 - 392 .

(38) نفس المصدر ونفس الصفحة .

فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف
ونهاوا عن المنكر) ، ثم يقولون لمن يشقون به لا يحرم عليه
أمه ولا بنته ولا أخته ولا خمر ولا زنا ولا خنزير ولا لواط
ولا ربا ولا شئء البتة ، وأنه لا يحل لك أن تمنع أخاك ، ومن
هو مثلك فى البلاغ السابع والعلم الباطن من زوجتك فانه
تحل له كما تحل لك والاشتراك فى الزوجات كالاشتراك فى
الطعام والكريم هو الذى تنكح زوجته بحضرته كما يؤكل
طعامه بحضرته ، وقد قال افلاطون الغيرة شح فى الطبيعة (39) .
وقال أيضا أنهم يأخذون العهود على الناس ويحلفونهم بالايمان
الغليظة فاذا حطوا على ذلك قالوا لهم اياكم ومجالسة الفقهاء
واياكم وفقه أبى حنيفة ومالك والتورى والحسن البصرى
وامثالهم ، فانهم كفره والرشد كله فى خلافهم واذا عمى على
أحدكم الصواب فلينظر ما عليه الفقهاء فيعمل بخلافه فانه
يصيب الحق (40) .

قيام أبى يزيد بشورته العامة

لما ضج المسلمون من مظالم العبيديين وكفرهم وحمل
المسلمون على الكفر والفتك بالعلماء وهتك الاعراض طلب
المسلمون على اختلاف مذاهبهم من اباضية ومالكية وحتى
الشيعة (41) من أبى يزيد القيام بالثورة — يقول ابن عذارى :

(39) تثبت دلائل النبوة ، ج 2 ص 596 .

(40) تثبت أدلة النبوة ، ج 2 ص 595 .

(41) قاضى القضاة دلائل النبوة . ج 2 ص 391 .

كان أبو القاسم الشيعي لما مات أبوه عبيد الله أظهر مذهبه وأمر بسب الصحابة وتكذيب كتاب الله فمن تكلم عذب وقتل واشتد الأمر على المسلمين ، ثم أن أبا يزيد هبط من جبل أوراس يدعو إلى الحق فرجوا فيه الخير والقيام بالسنة (42) . وقال ابن عذارى وفي سنة 332 اشتد أمر أبي يزيد بافريقيا حتى فر أمامه أبو القاسم إلى المهديّة من رقادة وتسمى شيخ المؤمنين . قال ابن سعدون : لما اشتد ظلم أبي القاسم بعث الله عليه مخلد بن كيداد فقهره وقتل جنوده وقام المسلمون معه وخرج الفقهاء والعباد مع أبي يزيد لحربه وسماهم ابن سعدون في كتابه رجلا رجلا فركبوا معه ونهضوا إلى القيروان فدخلها في صفر سنة 332 هـ 943 م ، وأظهر لاهلها خيرا وترحم على أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ودعى الناس إلى الجهاد جهاد العبيديين وأمرهم بقراءة مذهب الامام مالك فخرج الفقهاء والصلحاء في الاسواق بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه وأزواجه حتى ركزوا بنودهم عند الجامع فلما كان يوم الجمعة اجتمعوا بالمسجد الجامع وركبوا مع أبي يزيد بالسلاح ومعهم البنود والطبول منها بندان أصفران مكتوب في أحدهما البسملة ومحمد رسول الله ، وفي الآخر نصر من الله وفتح قريب على يد الشيخ أبي يزيد اللهم انصر أوليائك على من سب نبيك وبند آخر مكتوب فيه قاتلوا أئمة الكفر الامة ، وبند آخر فيه قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم وبند

(42) ابن عذارى البيان المغرب ، ج 307 .

آخر مكتوب فيه بعد البسملة محمد رسول الله أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وبند آخر وهو السابع فيه لا اله الا الله محمد رسول الله الا تنصروه . فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانی اثنین اذ هما فی الغار اذ يقول لصاحبه (لا تحزن ان الله معنا) . فلما اجتمع الناس وحضر الامام وطلع على المنبر خطب خطبة أبلغ فيها وحرص الناس على الجهاد وأعلمهم بما لهم فيه من الثواب ، ثم لعن عبيد الله وابنه ، ثم خرج الناس معه للقتال فلم يزل قاهرا لهم غالبا عليهم لجنودهم حتى لم يبق لهم من بلاد افريقيا الا اليسير (43) وفي كتاب مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان مخطوط بمكتبة الجزائر رقم 2161 ص 94 - 120 ما نصه :

العلماء الذين نفروا مع أبي يزيد من المالكية

الامام أبو الفضل المصطفى والعباس بن عيسى الفقيه وسليمان ربيع القطان وأبو العرب التميمي وابراهيم بن محمد وقد تكلم عليه القاضي عياض والذي خطب للجهاد في القيروان أحمد بن أبي الوليد يوم الجمعة فاستشهد مع ربيع القطان والتنسي والعشا منقول ومنقول من تاريخ الاسلام لابي عبد الله محمد الذهبي الى أن قال : صفحة 120 . وبخروج أبي يزيد مخلد بن كيداد ومن معه على بني عبيد أحسنوا السيرة مع الرعية وتهذبوا وطووا ما يرمونه من اظهار

(43) ابن عذاري البيان المغرب ج 1 . ص 308 - 309 .

مذهبهم الخبيث وساسوا ملكهم وقنعوا باظهار الرفض
والتشيع اه . وأورد فصلا فى فصل القيروان من جملة ما
قال فيه : فضائل القيروان كثيرة شهيرة يخرجنا تتبعها عن
الاختصار . وقد قال (أبو القاسم الفزارى) فى قصيدة له
طويلة كان أنشدها بين يدى أبى يزيد الخارجى بمحضر علماء
القيروان يستعطفه بها لمحاربة بنى عبيد فانشد فى ذلك
قصيدة أخذتها من المخطوط بصورة فوتغرافية :

فهل للقيروان وساكنيها عديل حين يفتخر الفجور
بلاد حشوها علم وحلم واسلام ومعروف وخير
عراق الشرق بغداد وهذى عراق الغرب بينهما كثير
ولست أقيس بغداد اليها وكيف تقاس بالسنة الشهور
بلاد تقصف الجبار قصفا اذا ما رامها منهم غدور
بلاد خطها أصحاب بدر وتلك اخط تربتها أمير
بناها المستجاب وقد دعا فى جوانبها دعاء لا يبور
بناها كل يدري كريم كان صفاح أوجههم بدور
هم صلوا لمسجدها براحا وليس لها جدار مستدير
هم وضعوا لها أسسا وساسا مقدسة المواضع والصخور
وقادهم الاذان اليه حتى أضاء لهم من المحراب نور
ولم يسبقهم ملك ظلوم لتأسيس ولا ملك كفور
وأصحاب النبى لهم بنات ولا عصيان ثم ولا فجور
أقاموا شطر قبلتها سويا الى البيت العتيق فلم يجورا

لما دخل اسماعيل بن أبى القاسم بن عبيد الله الى القيروان
بعد أن قتل أبا يزيد مغلد بن كيداد طلب أبا القاسم الفزارى

هذا فاخترني أبو القاسم هذا ولجأ الى أبي اسحاق البياتى
 وذكرها يخاف على نفسه من القتل فقال له ما قصدك بقصيدتك
 قال وجه الله تعالى قال له الله قال نعم قال اذهب فانه لا يلحقك
 مكروه فساروا به الى اسماعيل فلما مثل بين يديه قال له
 انشدنى قصيدتك الرابية فانشدته اياها فلما فرغ منها
 حرضه بعض أشياخه على قتله فاعرض عنه واذن له
 بالانصراف ولم يعرض له بمكروه اذ بتنه . وقد أورد هذه
 القضية ابن الدباغ فى معالم الايمان (44) وقال وقد هجا
 أبو القاسم الفزارى الشاعر بنى عبيد فانشدتها فى مجلس
 ضم علماء المالكية يستعطف بها أبا يزيد ولما سمع بها
 اسماعيل بن أبي القاسم العبيدى طلبه فدعا له أبو اسحاق
 البياتى فاجيبت دعوته ولم ينله سوء (45) قال البكرى
 (الاخوان) منزل بين القيروان والمهدية وفى هذا المنزل قتل
 أبو يزيد ميسرة الفتى قائد أبي القاسم سنة ثلاث وثلاثين
 وثلاثمائة (46) قال على بن ظفر يمدح أبا يزيد :

هذا وكم من وقعة مشهورة أبقيتها مثلاً لكل ممثل

بثينة الاخوين يوم تركتهم متوسدين وسائدا من جندل

(44) ج 3 ص 19 - 20 .

(45) معالم الايمان ، ج 3 ص 86 .

(46) المغرب فى ذكر بلاد المغرب ، ص 31 لابن عذارى البيان المغرب ،

ج 1 ص 309 .

أبو يزيد مغلد بن كيداد
جهاده ونجاحه فى تأسيس دولة اباضية بعد بنى رستم
مقدمة

اضطهاد العبيديين للمالكية والاباضية فى الشمال الافريقى
فى سنة ثلاثمائة وسبعة عشر هجرية قتل العبيديون
عروس المؤذن المتعبد وسبب قتله أنه كان يؤذن فى مسجد
عباس الفقيه صاحب سحنون فشهد عليه بعض المشاركة أنه
لم يقل فى آذانه حى على خير العمل فقطع - لسانه وسمل
عينيه وطيف به بالقيروان ثم قتل بالمرضاخ (47) وقد كلف
المهدى العبيدى اسحاق بن أبى المنهال القاضى من قضاة العراق
بتعذيب العلماء واهانتهم وكان رجل سوء امتحن على يديه
جماعة من العلماء - والصلحاء المدنيين فضرب بعضهم وحبس
بعضهم فدخل على عبيد الله الشيعى وذكر له أبا جعفر أحمد
ابن نصر الهوارى البويرى يفتى بمذهب مالك ووجه اليه
وسجنه بالمهدية تسعة أشهر ، وكان يقول حبست فى بيت الدم
مع السراق وأصحاب الدماء ، وكنت أخرج فى كل جمعة
يتفقد قيدى أقمت على هذا شهرين ، ثم أخرجت بعد ذلك من
ذلك البيت الى البيت الذى يحبس فيه جميع الناس . والله
ما سرقت ولا زينت ولا جنيت ولا كان ذلك الا على محبة
صاحب القبر والمنبر صلى الله عليه وسلم (48) . وهذا ما وقع
لى مع بعض العلماء ابان ثورة التحرير . وممن ناله

(47) المصدر نفسه ص 31 .

(48) الجزائر من معلم الايمان ، ج 3 ص 6 .

التعذيب أبو بكر محمد بن محمد بن اللباد الفقيه المالكي أحد
 مشائخ أبي محمد بن أبي زيد امتحن من أشياخ بني عبيد فسجن
 ثم أطلق ومنع الفتوى والاستماع واجتماع الطلبة عليه حتى
 توفي ، وكان أبو محمد بن أبي يزيد وأبو محمد بن الثبان
 يأتیان اليه في خفية ، وربما جعلوا الكتب في أوساطهما حتى
 تبطل بأعراقهما خوفا من بني عبيد أن ينالوهم بمكرهه وأصل
 محنته أنه صلى على جنازة ، وقد حضر ابن أبي منهال القاضي
 بجنازة أخرى فصلى أبو بكر فصلى وراءه ابن أبي منهال
 وقدمت الجنازة الاخرى وصلى عليها ابن أبي منهال فجلس
 أبو بكر ومد رجله واستدبر القبلة ولم يصل وراءه فشق
 ذلك على ابن أبي منها فبعث وراءه ودار بينهما كلام في ذلك
 فأمر بسجنه فسعى له عند عبيد الله بالمهدية حتى أمره أن
 يكتب الى أبي المنهال باخراجه من السجن على أن لا يفتى ولا
 يجتمع اليه أحد ولا يفتى الا بمذهب السلطان ، وقل له اذا مرضت
 فلا تعاد وبقي كذلك لا يسمع الا خفية فاذا اجتمعوا فتحت
 لهم الخادم الباب فيدخلون وتغلق عليهم فيقرأون ، وكان منهم
 أبو محمد بن أبي يزيد وأبو محمد بن الثبان . وازاء
 اضطهاد العبيديين للعلماء ومحاولة حملهم على اتباع مذهبهم
 اجتمع علماء المالكية بالقيروان وفكروا في الخلاص من ظلم
 العبيديين فقرروا استدعاء أبي يزيد مخلص بن كيداد ، وقد
 أعلن الثورة على العبيديين فقدم اليهم فطلبوا منه أن ينظموا
 اليه للجهاد في سبيل الله دفاعا عن عقيدة الاسلام فانشد
 الفزاري قصيدته المشهورة أمامه استنهاضا فقبل منهم ذلك
 واتفقوا على أن يقوم أبو الفضل عباس بن عيسى بن محمد

ابن عيسى المسمى بالدعوة للجهاد يوم الجمعة بالمسجد الجامع
 بالقيروان وهو من هو فى علمه وتقواه ، وكان أحد مشائخ
 أبى محمد بن أبى يزيد ومن جملة ما قال فى خطبته الخروج
 مع أبى يزيد الخارجى وقطع دولة بنى عبيد فرفض لان الخوارج
 من أهل القبلة لا يزول عنهم الاسلام يرثون ويورثون
 وبنو عبيد ليسوا كذلك لانهم مجوس زال عنهم اسم الاسلام
 فلا يتوارثون معهم ولا ينتسبون اليهم (49) قال أبو الحسن
 ابن الحلاف سمعت أبا الفضل يقول قتالهم أفضل من قتال
 المشركين فقال له أبو عبد الله الفقيه الاجدابى لا بى الحسن
 أنت سمعت هذا من أبى الفضل فقال نعم وقبله المالكى وهو
 بين لانهم كفار متصلون ببلاد الاسلام ويحكمون بما يريدون
 من ضرب وقتل أو سجن أو غير ذلك بخلاف كفار منفصلين
 عن بلاد الاسلام . وعندما مات أبو الفضل رثاه أبو محمد
 ابن أبى يزيد (50) . وقد عوتب الفقيه ربيع القطان وهو ممن
 كانت له حلقة بجامع القيروان يحضرها كبار العلماء مثل
 أبى القاسم بن شلون فى خروجه مع أبى يزيد الى حرب
 بنى عبيد فقال وكيف لا أفعل ، وقد سمعت الكفر بأذننى فمن
 ذلك انى حضرت اشهادا ، وكان فيه جمع كبير أهل سنة
 ومشاركة (51) . وكان بالقرب منى أبو الفضاعة الداعى
 فأتى رجل مشرقى من أهل الشرق ومن أعظم المشاركة فقام
 اليه رجل مشرقى وقال الى ها هنا يا سيدى الى جانب رسول

(49) المعلم . ج 3 ص 34 .

(50) المعالم ، ص 35 .

(51) يطلق هذا الاسم على الروافض .

الله صلى الله عليه وسلم يعنى أبا فضاة الداعى ويشير بيده
 اليه فما أنكر أحد شيئا من ذلك فكيف ينبغى أن أترك القيام
 عليهم . ووجد بخط ربيع القطان لما كان رجب سنة احدى
 وثلاثين وثلاثمائة قام الصبى المكوكب يقذف الصحابة ويطعن
 على النبى صلى الله عليه وسلم وعلقت عظام أكباش وحمير
 وغيرها على أبواب الحوانيت والدروب فاذا عليها قراطيس
 معلقة فيها أسماء يعنون بها رؤوس الصحابة رضوان الله
 عليهم ، فلما رأى ذلك ربيع لم يسعه التأخر عن الخروج عليهم
 وكذلك كان جميع الشيوخ يتناولون أبا اسحاق السبائى
 وغيره ، ولما اجتمعوا للخروج عليهم قال ربيع القطان أنا أول
 من يشرع في هذا الامر ، ويخرج فيه ويحرض المسلمين ويحثهم
 عليه وسارع جميع الفقهاء والعباد لذلك ، فلما كان بالغد
 خرج ربيع وجماعة الفقهاء ووجوه التجار الى المصلى بالسلاح
 الشاك والعدة العجيبة التى لم ير مثلها وضاق بهم الفضاء
 وتواعد الناس أن ينظروا فى الزاد وآلة السفر الى يوم السبت
 وذلك يوم الاثنين وركب بعض الشيوخ من الموضع الى الجامع
 بالسلاح وشقوا السماط بالقيروان وزادوا فى استنهاض
 الناس ، فلما كان يوم الجمعة اجتمعوا فى الجامع وركبوا
 بالسلاح الكامل وحملوا البنود والطبول وأتوا بالبنود فركزوها
 قبالة المسجد المعروف بالحدادين ، وكانت سبعة بنود الاول
 أصفر لربيع القطان مكتوب عليه البسملة ومعها لا اله الا الله
 محمد رسول الله ، وفى الثانى لابی الربيع وهو أصفر أيضا
 نصر من الله وفتح قريب على يد أبى يزيد اللهم انصره على
 من سب نبيك ، وفى الثالث وهو أصفر أيضا لابی الربيع

بعد البسملة : قاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلمهم
 ينتهون . وفى الرابع وهو بند أحمد لابی الفضل عباس
 المسى : لا اله الا الله محمد رسول الله ، وفى الخامس وهو
 بند أخضر لمروان العايد بعد البسملة : قاتلوهم يعذبهم الله
 بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين .
 وفى السادس وهو بند أبيض بعد البسملة — لا اله الا الله
 محمد رسول الله أبو بكر الصديق وعمر الفاروق . وفى
 السابع وهو لابراهيم العشبا وكان أكبر البنود لونه أبيض :
 لا اله الا الله محمد رسول الله الا تنصروه فقد نصره الله
 اذ اخرجهم الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول
 لصاحبه لا تحزن ان الله معنا . فلما اجتمع الناس وحضرت
 صلاة الجمعة طلع الامام على المنبر وهو (أحمد بن محمد
 ابن أبى الوليد) ، وكان أبو الفضل المسى هو الذى أشار به
 وخطب خطبة أبلغ فيها حرض الناس على الجهاد وأعلمهم بما
 لهم فيه من الثواب وتلا هذه الآية : « لا يستوى القاعدون من
 المؤمنين غير أولى الضرر » . وقال : يا أيها الناس جاهدوا من
 كفر بالله وزعم أنه رب من دون الله وغير أحكام الله عز
 وجل وسب نبيه وأصحاب نبيه وأزواج نبيه فبكى الناس
 بكاء شديدا وقال فى خطبته : اللهم هذا القرمطى الكافر
 الصنعمانى المعروف بأبى عبد الله المدعى الربوبية من دون
 الله جاحدا لنعمتك كافرا برؤيتك طاعنا على أنبيائك
 ورسلك مكذبا بمحمد نبيك وخيرتك من خلفك سائلا لاصحاب

نبيك وأزواج نبيك أمهات المؤمنين سافكا الدماء دماء أمته
 منتهكا لمحارم أهل مكة افتراء عليك واغترارا بحلمك اللهم
 فالعنه لعنا وبيلا واخزه خزيا طويلا واغضب عليه بكرة
 وأصيلا واصله جهنم وساءت مصيرا بعد أن تجعله في دنياه
 عبرة للسائلين وأحاديث للغابرين وأهلك اللهم متبعه وشئت
 كلمته وفرق جماعته واكسر شوكته واشف صدور قوم
 مؤمنين منه . ونزل فجمع الجمعة ركعتين وسلم وقال : ان
 الخروج غدا يوم السبت ان شاء الله وركب (ربيع القطان)
 فرسه وعليه آلة حرب وفي عنقه المصحف وحوله جمع من
 الناس من أهل القيروان متأهبون معتدون لجهاد أعداء الله
 عليهم آلة الحرب فنظر اليهم ربيع القطان فسر بهم وقال :
 الحمد لله الذي أحياني حتى أدركت عصاة من المؤمنين
 اجتمعوا لجهاد أعدائك وأعداء نبيك ، يا رب بأى شيء وصلت
 الى هذا ، ثم أخذ في البكاء حتى جرت دموعه على لحيته ثم
 قال : والله لو رأيكم محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا لسر بكم .
 وكان ممن خرج على بنى عبيد فقتل (52) وقطع رأسه وأتى
 به الى أبى القاسم بن عبيد الله فى طشت فلما كشف عنه فتح
 الرأس عينية وفمه فقال أبو القاسم أبعدوه عني وقال أبو بكر
 المالكي : استشهد ربيع القطان رحمه الله يوم الاثنين فى صفر
 سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وقيل أن المسمى استشهد معه
 فى يوم واحد وقيل بينهما مدة ستة أشهر ، فكان غرض
 المجوس بنى عبيد أخذ ربيع حيا ليتشفى منه قال الشيخ

أبو الحسن القاسمى : فلما تلاقوا للقتال أقبل ربيع وهو يظعن
فيهم ويضربهم وهم يتوقفون عن طعنه طمعا أن يأخذوه
حيا فلما أثخنهم بالضرب والظعن عمد اليه جماعة منهم فقتلوه
وأدير برأسه فى طرابلس وما تولوا دفنه رحمة الله عليه
واستشهد معه أئمة وعباد صالحون وذلك خمسة وثمانون
رجلا ، وقال أبو الحسن القاسمى عن شيوخه الذين أدركهم
ان الذين ماتوا فى دار البحر بالمهدية من حين دخل عبيد الله
الى الآن أربعة آلاف رجل فى العذاب ما بين عابد وعالم ورجل
صالح ، ولذلك يقول سهل الوراق :

وأحل دار البحر فى أغلاله من كان ذا تقوى وذا صلوات
قال أبو الحسن ابن سعيد الخراط الفقيه لما بلغنى أن
الفقهاء قد تجمعوا فى الجامع فى تدبير الخروج الى المهدية فى
أيام أبى يزيد بكرت الى الجامع فأصبت أبا العرب محمد
ابن أحمد التميمى المؤرخ (53) وأبا الفضل الممسى وربيع
القطان وأبا اسحاق السائحي ومروان بن نصر وغيرهم جلوسا
عند المنبر فتكلموا فى الخروج على بنى عبيد فاختلفوا
وتناظروا حتى قال أبو العرب ابن تميم اسكتوا فسكت الناس
فقال : حدثنى عيسى بن مسكين عن محمد بن عبد الله
الرجزاني باسناده الى النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :
يكون آخر الزمان قوم يقال لهم الرافضة فاذا أدركتموهم
فاقتلوهم فانهم كفار فلما أتم الحديث كبر الناس وعلت

(53) له عدة مؤلفات منها طبقات علماء افريقيا ، وكتاب التاريخ فى
سبعة عشر جزءا .

أصواتهم فى الجامع اربع . ثم خرجوا لقتال بنى عبيد ولم يتخلف من الفقهاء والصلحاء أحد (54) . وممن ناله اضطهاد العبيديين من كبار علماء المالكية محمد بن الفتح المرجى فانه كان يخرج الى المقبرة ويتستر بحائط يقرأ على أصحابه هناك للخوف من بنى عبيد لانهم منعوا من بث العلم وسجنوا العلماء فى دورهم (55) وممن ناله التعذيب أبو اسحاق ابراهيم ابن محمد القصرى مات فى السجن بدار البحر من أجل كلمة حق فى دين الله قالها ، وذلك سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة (56) . وممن كان له موقف مشرف فى أيام بنى عبيد أبو عبد الله محمد بن أبى المنصور ، أجبره الامير اسماعيل العبيدى على القضاء فاشتراط عليه أن لا يأخذ لهم صلة ولا يركب لهم دابة ولا يقبل شهادة من طاف بهم أو قاربهم ولا يركب اليهم مهنيا ولا معزيا فأجابه لهذا اسماعيل وقبل شرطه ، وقال له اذا لم تأخذ صلة فمن أين تعيش ؟ قال : بما أعيش به الآن . قال : فما تركب وأنت شيخ كبير ، قال : الجامع قريب من دارى . وممن قتله بنو عبيد (أبو عبد الله محمد بن اسحاق الجبلى) . ولى قضاء برقة لاسماعيل العبيدى ، وكان ابن الكافى عاملا عليها فقال له ابن الكافى ان غدا العيد فقال القاضى : ان رأى الهلال الليلة كان ما قلت والا فلا يمكننى أن آمر الناس بالفطر فى يوم رمضان وأتقلد ذنوبهم فقال له : بهذا وصنى كتاب مولائى يعنى اسماعيل فالتمس الناس الهلال فلم

(54) طبقات علماء افريقيا لابن العرب التميمي .

(55) المصدر 47 .

(56) نفس المصدر ص 49 .

يروه فاصبح العامل الى القاضى بالطبول والبنود وهيئة العيد فقال القاضى والله لا أخرج ولا أصلى ولا أفطر فى يوم من أيام رمضان ولو غلقت بيدي . فمضى العامل فجعل من خطب وصلى . وكتب بما جرى الى مولاه فلما وصل اليه الخبر أمر برفع القاضى فلما وصل الى القيروان قال له : اما أن تتصل بنا ونعفو عنك أو نفعل بك ما قلت فامتنع من الدخول فى دعوته وقال افعل ما شئت ، فنصب له صاريا عند الباب الاخير من أبواب الجامع وعلق بيده اليه فى الشمس فأقام كذلك ضامئا فى شدة الحر يومه وليلته ، فلما كان الغد مات ولسانه خارج من العطش وهو يطلب من يسقيه الماء فلم يسق خوفا من عامل البلد ، فلما مات أخذوه وصلبوه (57) . ومن تعسفهم أنهم امتحنوا أبا محمد عبد الله بن هاشم أحد تلاميذ محمد بن سحنون ثلاثة سنين على يد محمد بن عمر المرودى ابن أبى الوليد وأرادوا قتله فتجاه الله منهم ، وكان عالما صالحا (58) . وممن دعى لمحاربة العبيديين أبو ابراهيم أحمد ابن محمد الحاكم بالقيروان أيام أبى يزيد ، وذلك أن أبا يزيد خير أهل القيروان من ينصبونه لاحكامهم الشرعية فاتفقوا (59) على ابن أبى الوليد لدينه وفضله ، وكان أيضا يتولى الصلاة والخطبة بالجامع الاعظم بالقيروان ، وكان خطيبا بليغا ورجلا صالحا عدلا فى أحكامه (60) ، ومن جملة ما وقع

(57) المعالم ج 3 ص 61 .

(58) المصدر 71 .

(59) تأمل فى عدل الرجال وانصافه ونصرته للدين .

(60) المصدر ص 75 .

أن أبا القاسم الفزارى الشاعر ألقى قصيدة أمام أبى يزيد
حرضه فيها على محاربة العبيديين وهجاءهم فطلبه السلطان
اسماعيل ليقتله فلجأ الى السبائى وهو فزع خائف وقال له :
أنت تعلم ما يراد بى فقام الشيخ فدخل خزانه واقبل يدعو ،
ثم قال لابی القاسم امض اشتر غذاءك وادخل الحمام وامض
اليه فلن ترى شيئاً تخافه قال أبو القاسم فخرجت من عنده
ففعلت ما أمرنى به من دخول الحمام ووثقت نفسى بقوله
ودعائه ، ثم مضيت الى السلطان فدخلت عليه فقال بعض من
فى المجلس يأمرك السلطان أن تنشد ما قلت فى أيام أبى يزيد
فتوقفت عن ذلك وخفت فقال انشدوا له الامان فانشدته
القصيدة الرائية (61) . فلما فرغ من انشادها لم يتعرض له
اسماعيل بسوء ، فلما خرج من بين يديه قام أحد الجنود من
بين يدى اسماعيل فاخترط سيفه ليقتل أبا القاسم ، فقال له
اسماعيل : مالك قال : اضرب عنقه فقال : قد أمناه والا كان
هنا فى حين آتانا وانصرف .

وممن جاهر بالعداوة لبنى عبيد العالم الجليل أبو محمد
عبد الله بن اسحاق ابن الثبان كان شديد البغض لهم قال
بعض أصحابه كنت معه يوماً بالمنستير فى يوم عاشوراء فلما
رأى جمعهم بكى فليل له ما يبكيك فقال والله ما أخشى عليهم
من الذنوب لان مولاهم كريم ، وانما أخشى عليهم أن يشكوا
فى كفر بنى عبيد فيدخلوا النار (62) . وكان له موقف مشرف

(61) المصدر ص 86 .

(62) المعالم . ج 3 ص 113 .

لما اشتد عبد الله ابن محمد صاحب القيروان على العلماء ليشرقهم (63) فطلب أبا سعيد بن هشام وأبا محمد بن الثبان وأبا القاسم بن شيلون وأبا محمد بن أبي يزيد وأبا الحسن القاسي فاجتمعوا في دار أبي محمد بن أبي زيد ، فقال لهم الثبان أنا أمضى اليه وأكفيكم مؤونة الاجتماع به فكانت له معهم مناظرة (64) . ولولا خوف الاطالة لاوردناها (65) وجمع أبو العباس القادر علماء النسب والعلويين والقرشين فأجمعوا على أن العبيديين ليسوا من قریش ولا من غيرهم من العرب ، وانما هم من ذرية ميمون بن القداح من يهود سليمة وكتبوا بذلك عقودا مشهودة وادركت من بلدنا من كان ينسب اليهم فكان شيخنا ابن عبد السلام يشير ويصرح بهذا - الطعن في نسبهم وهذا ما قاله ابن عرفة .

قال ابن عذارى : لما ولي أبو القاسم لم يزل في شغل وحزن لموت أبيه وبعث الله عليه أبا يزيد مخلد بن كيداد فقهره وخرج عليه وقتل جنوده وقام المسلمون معه ، ولما كان يوم الجمعة طلع الامام على المنبر وهو أبو ابراهيم أحمد بن محمد فخطب خطبة بليغة وحرّض الناس على الجهاد ، ثم قال لهم اللهم ان هذا القرمطي الكافر المعروف بعبيد أدعى الربوبية من دون الله جاحدا لنعمتك كافرا برؤيتك فانصرنا اللهم عليه وأرحنا منه ومن دولته واصله جهنم وساءت مصيرا بعد أن تجعله في

(63) يعنى ليعتبقوا مذهب الروافض .

(64) المصدر ص 113 .

(65) المصدر ص 188 .

دنياء عبرة للسائلين وأحاديث فى الغابرين وأهلك اللهم
شيئته وشتت كلمته . ومات أبو القاسم بن عبيد الله محسورا
وفى نفسه مقهورا (66) .

قال قاضى القضاة ما نصه : ولكثرة ما كان من جور العبيدى
وقتله للناس ونهبه للاموال اجتمع قوم من أهل الجبل بالمغرب
على رجل من الاباضية يقال له أبو يزيد مغلد بن كيداد
فبايعوه ، وكان شيخا كبيرا ضعيفا لا يمكنه لضعفه أن
يتمسك على فرس فكان يركب حمارا ، وكان له وزير
يستشيره أعمى فانفذ اليه هذا الذى تسمى بالقائم بن المهدي
بعسكر فكسره وردده وتسامع به الناس وانه ينكر المنكر
فاجتمعوا اليه وأتوه وسار من الجبل الى الامصار ولقيه
العساكر فكسرها كلها ودخل افريقيا وأزال الظلم والمكوس
وملك كل ما كان بايدى هؤلاء القرامطة من أرض المغرب الى
المهدية فانه حاصرهم فيها ومات هذا المتسمى بالقائم فى
الحصار ، وعرض له وسواس وزال عقله مما نزل به من الذل
وقتل الرجال وزوال الملك وجوع من بقى معه بالمهدية
بالحصار (67) .

قال ابن عذارى وفى سنة 307 قتل بالقيروان عبدوس
المؤذن بمسجد ابن عباس بعد أن ضرب بالسياط وقطع لسانه
اذ شهد عليه قوم من المشاركة أنه أذن ولم يقل حى على خير
العمل . وكان من المتزهدين يطحن بيده ويعمل الحلفاء

(66) ابن عذارى ، ج 2 ص 412 .

(67) تثبت دلائل النبوة ، ج 2 ص 602 .

و يتعيش من ذلك (68) . ثم قتل على بن محمد من ذرية أبي بكر الصديق رضى الله عنه حكمه عبيد الله وحبسه ، ثم خنق حتى مات (69) . قال له ابن عذارى كان أحمد البلوى النخاس بالرقيق يصل الى رقادة أيام كون عبيد الله فيها وهى منه فى الغرب ، فلما انتقل عبيد الله الى المهديّة وهى فى الشرق صلى اليها وكان يقول لست ممن يعبد من لا يرى ، وكان يقول لاهل القيروان فى عبيد الله أنه يعلم سرهم ونجواهم فتقرب اليه رجل يوما وهو يقول ذلك فأخذ أذنه ونطق فيها عبيد الله الذى تقول زان ابن زانية فان كان يعلم ما قلت لك فلينتصر فصاح صيحة عظيمة . وقال يا مسكين انه حلیم لا يعجل ، وكذلك كان ابراهيم بن غازى يأكل فى شهر رمضان جهارا ويرتكب الكبائر ، وكان فى أيام الاغلب من المتزهدين حتى كان أهل سوسة أراد تقديمه لصلاة الجماعة (70) .

لما عزم أبو يزيد الخروج بعد سنة من المشاورة مع من يهمهم الامر ورأى أن جميع الناس سواء من كان بتونس أو بالجزائر أو بالصحراء وسواء منهم المالكية أو الاباضية كمتقدم ، وجمع قوته فى جبل أوراس منبع الثورات حيث قبائل زناتة الذى هو منهم وجميعهم اباضية بنو يفرن ومغراوة وهوارة وبنو واسين . وكان مكرما فى جبل أوراس اذ ذاك فكر أبو القاسم فى الخلاص من هذا الشائر المجمع عليه من الشعب كله ورأى أنه يجب أن يحاصره فى جبل أوراس

(68) البيان المغرب ، ج 1 ص 256 .

(69) المصدر نفسه ص 259 .

(70) نفس المصدر ص 261 .

حتى لا يتصل بالناس وكلهم مستعد لنصرته فبعث جيشا عظيما فحاصره فى الجبل ففك الحصار بأعجوبة . وقد أفلت من سجن توزر بأعجوبة كما تقدم كما ذكر ذلك الدرجيني فى كتاب الطبقات وكتاب أبو زكريا فى السير ، وكتاب (كشف الغمة فى تاريخ الأئمة) . وذلك أنه لما أظلم الليل أمر بخمسمائة ثور شد بكل قرن ثور حزمة حلفاء ، وفى ذنبه أخرى وأمر بخمسمائة رجل من أصحابه من ذوى النجدة والبأس وأخذوا سلاحهم واستاق كل رجل منهم ثورا حتى اذا قربوا من المعسكر ، أطلق كل رجل منهم نارا فى حلفاء ثوره فلما أحست الشيران حرارة النيران ركضت وخاضت العسكر والرجال فى ساققتها بالسيوف مسلطة يضربون بها كل من أدركوه من العسكر . فانهزموا وأبو يزيد وأصحابه يقتلونهم حتى قتلوا عددا كبيرا ، ولما أصبح عرض أبو يزيد عسكره فعرض فى اثنى عشر ألف فارس ممن صار اليه من عسكر العبيدى خاصة ممن كانوا فى جند عدوه بالامس وصار فى طلب عسكرهم فتسامعت به القبائل فجاءته من كل مكان وطار اسمه فى الآفاق فاجتمعت اليه عساكر عظيمة حتى عدوا فى عسكره ألف ألف أبلق فيما قيل ، ومعه جماعة من مزاته ، وقد عدوا المشهور من خيله ألفا (71) . وعند تنظيم حكومته بالاوراس كان يعينه أبنائوه الاربعة الذين أصبحوا خيرة قادته مع شيخه أبى عمار ، وذلك سنة 332 هـ 943 م (72) . ولما فك حصار أوراس ونزل الى باغاي أين تجمعت قوات

(71) دائرة المعارف الإسلامية 1960 مادة أبى يزيد .

(72) الطبقات ، ج 1 ص 99 .

العدو واستولى بسرعة البرق على المدن والقرى لانهم كانوا ينتظرونه بفارغ الصبر ، فاستقبل استقبالاً فى تبسة ومر ماجنة ومجانة ، ووجه جيشا الى الجريد فاستولى عليه (73) .

قال الدرجيني فتح المدن والقرى حتى افتتح الساحل كله وأقبل يريد قسطنطينة التى منها خرج فافتتحها (74) ، وأقبل نحو القيروان ولما سمع أبو القاسم بإقبال أبى يزيد اليه بجنود لا قبل لهم بها خرج يريد المهدية (75) ، ولما سار الى رقادة مركز العبيدى ونزل عليها بمائتى ألف مقاتل (76) ، وأقبل أبو يزيد الى القيروان فاستقبله العلماء والصلحاء وأعيان البلدة استقبالاً رائعاً تقدم تفصيله كما رواه صاحب معالم الايمان ، وابن عذارى وأبو بكر المالكي وغيرهم كثيرا ولكن الغريب أن الكثير بعد أن أتوا بتفاصيل عن ملاقات علماء المالكية به والاستقبال الرائع الذى قابلوه به ناقضوا أنفسهم فذكروا أنه حاصر القيروان وحاربهم الخ ... مع أنهم قالوا فرأى أمامه أبو طاهر العبيدى من رقادة الى المهدية ، وهذا تناقض غريب ومن المعقول أنهم يشوهون التاريخ تزلفاً للدولة الحاكمة . ورحم الله قاضى القضاة عبد الجبار بن أحمد حيث أورد تاريخ ثورة أبى يزيد ، لم يذكر فيها شيئاً مما نسب اليه من الفواحش زورا وبهتاناً لانه لم يكن تحت حكم العبيديين وان كان فى عصرهم ولا داعى اذا لتشويه

(73) طبقات الدرجيني . ص 100 .

(74) دائرة المعارف الاسلامية 1960 .

(75) الطبقات . ج 1 ص 99 .

(76) نفس المصدر ص 100 .

الحقيقة والعجب من بعض الباحثين فى هذا العصر الذى بنى فيه البحث على التمهيص والتعميق لتظهر الحقيقة . استسلموا للاكاذيب التى حاول العبيديون أن يستروا بها جرائمهم ، فانهالوا بالشتم والكذب على أبى يزيد شأن من لم يقدر له النجاح . وفيما كتبه قاضى القضاة عبد الجبار عن أبى يزيد أكبر صفقة للذين تقبلوا كل ما نسب اليه من النهب والسلب والقتل كذبا وزورا فى كل بلدة دخلها ، فهلا ذكروا اسما واحدا قتله من غير جيش العبيديين لان من كان عادته القتل الجماعى لا يبد وأن تكون أسماء بعض الاعيان معروفة كما عرفت أسماء العلماء والفقهاء الذين فتك بهم العبيديون . وأما النهب والسلب فقد نفاها قاضى القضاة فيما تقدم .

اتصال أبى يزيد بأمرأه الاندلس

قال ابن عذارى : وفى سنة 333 فى منسلخ شوال قدم على الناصر رسول من أبى يزيد مغلد بن كيداد القائم بافريقيا على أبى القاسم اسماعيل العبيدى برسالة منه يخبره بتغلبه على القيروان ورقادة وعملهما ، وايقاعه بأصحاب العبيدى فيها وما يعتقده من ولاية الناصر وانتمائه اليه من اعتناقه امامته واتصلت كتب أبى يزيد ورسله على قرطبة من ذلك الوقت الى حين وفاته ، وفى سنة 334 جلس الناصر لدى ابنه لوداع رسل أهل القيروان الواردين عليه من قبلهم وقبل أبى يزيد مغلد بن كيداد اليفرينى الناصح بأرض افريقيا محتسبا فى جهاده ملوك المنتزى على افريقيا من آل عبيد الله الداعى ، وكان له فى القيام عليهم وقائع شنيعة فوصلوا الى الناصر فى

ذلك اليوم وهم ثلاثة نفر وجههم تميم بن أبى العرب التميمى
فكلمهم بما تقتضيه رسالتهم . ودفع اليهم أجوبة من ارسلهم
وأذن لهم فى الانصراف الى بلدهم ووصلهم وكساهم فانطلقوا
لسييلهم (77) .

صلته بالناصر الاموى متواصلة

قال ابن عذارى وفى سنة 335 وصل الى قرطبة أيوب
ابن أبى يزيد مخلد بن كيداد اليفرينى الاباضى رسولا من
والده أبى يزيد فقعد له الناصر قعودا - وأوصله الى نفسه
وكرم لقاءه وأمر بانزاله فى قصر الرصافة ، وقد أعد له من
الفرش والغطاء والآنية والألة ما يعد لامثاله فأقام هناك
بين نزل واسع وكرامة موصولة (78) . وذكر ابن خلدون أن
أبا يزيد لما وصل الى القيروان بعث رسله فى وفد من أهل
القيروان الى عبد الرحمن الناصر الاموى صاحب قرطبة
ملتزما لطاعته والقيام لدعوته وطالبا المدد فرجعوا اليه
بالقبول والوعد ، ولم يزل يردد ذلك سائر أيامه حتى أوفد
ابنه أيوب آخر سنة 35 ، فكان له اتصال بالناصر وسائر
أيامه (79) .

(77) البيان المغرب ، ج 2 ص 318 - 319 .

(78) البيان المغرب ، ج 2 ص 321 .

(79) ابن خلدون ، ج 7 ص 30 .

أبو يزيد يؤسس دولة اباضية بعد انتصاراته
ونقوده الذهبية المسكوكة باسمه بوارجلان موجودة
بمتحف القيروان

ان الانتصار الباهر الذى حققه أبو يزيد باستيلائه على كامل الوطن التونسى والجزائرى ، والذى أدى الى موت أبى القاسم محمد القائم محصورا بالمهدية ، كما تقدم مكنته من تأسيس دولة اباضية بالعاصمة الثانية لدولة بنى رستم وارجلان ، فأسس دولة اباضية بتأييد من عبد الرحمن الناصر لدين الله الاموى ، وكان مواليا له كما تقدم . وفى سنة 1966 توصلت الحفريات بنواحي القيروان الى اكتشاف زير به 300 قطعة ذهبية مسكوكة باسم أبى يزيد مخلد بن كيداد بسبك ممتاز وكتابة واضحة فوق وقع للباحثين الاشكال فى أى مكان كان سبكها فنشرت جريدة العمل التونسية مقالا فى هذا الموضوع فأجبتها بما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله .
الجزائر يوم 14 الجمعة جمادى الثانى 30 سبتمبر 1386 هـ
1966 م .

فضيلة المحترم مدير جريدة العمل الغراء حفظه الله .
سلام وتحية واحترام وبعد - فأننى قرأت بجريدتكم الغراء فى صفحة القيروان دراسة وافية عن متحف القيروان ، أكبرت عمل الحكومة التونسية فى حفظ آثار الاجداد والاسلاف ، بارك الله فيكم وجزاكم عن الاسلام وقاعدة الاسلام بالشمال الافريقى خيرا .

وعند الكلام على النقود الذهبية المسكوكة باسم أبي يزيد
مخلد بن كيداد ذهب الاستاذ الشاذلي الى أنها مسكوكة
بالاندلس لان الاحوال في ذلك العصر سيئة بالقيروان ،
ولا يمكن أن تكون مسكوكة به ، ورجح الكاتب أن تكون
مسكوكة بالقيروان ، وحيث أن التاريخ لا يبنى على ترجيح
فكرة أو تأييد نظرية ، وانما يستمد من الواقع ، وقد تناولت
مصادر التاريخ في القديم هذه النقطة بالذات فتكلم عليها
صاحب نزهة المشتاق بوضوح ، كما نص عليه الشيخ أبو بكر
يحيى بن ابراهيم المالكي القيرواني في تاريخه (مختصر
رياض النفوس) وهو مخطوط في أربعة أجزاء موجود في
مكتبة شيخ الاسلام حكمت بالمدينة المنورة . قال ما معناه : انه
في عام 333 هجرية ، عندما اندلعت الثورة الاباضية بالشمال
الافريقي ضد الفاطميين وانضمت الجماهير المالكية الى
الاباضية بأمر من علماء المالكية بالقيروان تهيات الاسباب
للاباضية أن يكونوا دولة تعوضهم عن دولة بني رستم ،
فاستعدوا لذلك بجميع الوسائل حتى أنهم استجلبوا الذهب
من السودان و ضربوا النقود باسم رئيسهم أبي يزيد مخلد
ابن كيداد الاباضى بوارجلان من صحراء الجزائر وأنتم
تعلمون أن العائلة المالكة لدولة بني رستم عند انقراض
دولتهم التجأوا الى صحراء وارجلان فراجعوا مصادر التاريخ
للتأكد من الواقع أبقاكم الله للحقيقة ونشر ما انطوى من
تراثنا المجيد .

تقبلوا فائق احترام أخيكم ابن يوسف سليمان .
صندوق البريد 804 - الجزائر العاصمة .

هذه الرسالة نقلتها بنصها ، وهذه النقود الذهبية موجودة الآن فى متحف القىروان لمن أراد أن يطلع عليها .

بالمكر والخداع توصل أبو طاهر للفتك بأبى يزيد

لما مات القائم محصورا بالمهدية وتولى بعده ابنه اسماعيل الملقب بالمنصور كتم خبر وفاة والده ، ولم يغير شيئا من رسوم الخلافة كالسكة والخطة والبنود (80) ، وبقي محتارا كيف الخلاص مما وقع فيه حتى كاد يموت كمدا أو غما مثل أبيه . وأشار عليه أبو الحسن بن عمار وأعانه فى التخطيط ضد أبى يزيد حتى ظهر عليه (81) . والآن أظهر حقيقة أخفاها الكثير من المؤرخين تزلفا للحكومة القائمة ، وذلك أن المنصور اسماعيل وجد أمامه الابواب موصدة ، وقد عجزت قوته عن المقاومة حاول أن يوقد نار الفتنة بين صنهاجة وزناته سكان البلاد حتى يتنفس ، وهو يعلم أن الصراع بينهما على السلطة قديم ومتمكن ، ولكن أنى له ذلك ما دام أمامهما عدو مشترك يحاول ارغامهما على الخروج من الدين والانسلاخ من عقيدتهم الاسلامية فعمد أولا تمهيدا لغايته فأصدر أوامره بإقامة الشريعة الاسلامية والانتقام من الدعاة وتتبعهم بالقتل ، وانه عازم على تعزيز الشريعة الاسلامية واتباع أوامر الله واجتناب نواهيه ، وفعلأ أصدر أوامره بذلك خداعا ، وفتح الباب بهذه للمفاوضة مع صنهاجة واغرائهم

(80) ابن خلدون ج 4 ص 43 ابن خلدون ج 4 ص 89 الكامل ج 8 ص 455

(81) قاضى القضاة تثبیت دلائل النبوة . ج 2 ص 292 .

بجميع الوسائل من الهدايا ووعدهم بالتمكين من السلطة ان
 قضوا على عدوه الاكبر وهو أبو يزيد ، ومن السهل عليه بعد
 ذلك أن يرجع الى الكفر والالحاد والزندقة وارغام الناس على
 ذلك كما كان يفعل أبوه وجده . وما موقفه الاول من تأييد
 الاسلام وتمكين الفقهاء والعلماء من الحرية الا نوع من
 أساليب الخداع والنفاق ، وسأنتقل ما قاله العلماء الاجلاء فى
 الموضوع مع قلة المصادر لان بعضها مثل مؤلفات أبى العرب
 التميمى الذى عاش تلك الاحداث قد أبيدت ، وكذلك مؤلفات
 ابن الرقيق والباقي يخشون على أنفسهم الموت . فان العبيدين
 يقصدون القضاء على كل من يشتم فيه رائحة عدم الرضاء
 بمبادئهم وقد سبق ذكر بعض جرائم القتل التى قابلوا بها
 العلماء وما أكثرها . انهم باظهارهم الاسلام استجابت لهم
 صنهاجة خصوصا والمنافسة بينهم وبين بنى عمومتهم زناتة
 متمكنة ، فقد نص على ذلك كثير من المؤرخين تعرضوا باسهاب
 الى منافسة صنهاجة وزناتة على السلطة فى مختلف العصور
 ولا أدل على هذا من اعتراف باديس بن حبوس بذلك فى
 رسالة بعث بها الى أبى اسحاق محمد بن عبد الله البرزالي
 يقول فيها : كنا فى بلادنا نتصارع على السلطة ونتقاتل
 لاجلها . أما الآن ونحن بالاندلس فى بلاد الناس
 يعتبروننا جميعا غرباء يجب أن نتعاون مع بعضنا ونضم
 جهودنا ، فان اعتدى عليكم أحد فانا مستعد لنجذتكم ، وان
 تعدى علينا أحد فكونوا مستعدين لنصرتنا (82) . والآن
 أنقل الى القارئ الكريم بعض النصوص فى رجوع اسماعيل

(82) مذكرات باديس بن حبوس أمير غرناطة .

العبيدي للإسلام وانتقل به فيما بعد ، وانقل محاولته لاستمالة
صنهاجة واغرائهم بجميع الوسائل حتى يتضح جليا ما شاع
من أن أبا يزيد انقلب عنه الناس وكرهوه لانه أباح الفسوق
والفجور والنساء الى غير ذلك من الاكاذيب - اذ ليس من
المعقول أن يكون من أول عمر مستقيما وفقوها يقوم بنشر العلم
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى اذا شاخ وعجز ،
حتى عن ركوب الخيل أن ينقلب تماما عما كان عليه من حسن
السيرة الى فساد الاخلاق والانحلال والفسوق الخ .. وما
موقف المشائخ الذين معه مثل الشيخ عبد الحميد عمار الاعمي
وكيف نسب اليه هذه الافعال القبيحة ، وقد كان صديقا
حميما لاحد علماء الاباضية وزميلا له في الدراسة وهو
الشيخ سليمان بن زرقون الذي سد الفراغ الذي تركه موت
كثير من العلماء في واقعة مانو ، وهل يقبل عاقل أن يواصل
ولداه الفضل وأيوب جهاده بعد موته وتنصاع لهم الناس مع
ما نسب لابيهم ، وهل من المعقول أن يواصل عبد الرحمن
الناصر أمير الاندلس مساندته لهما بعد موت أبيهما وهو من
هو في الدفاع عن الاسلام والغيرة على مبادئه ، فلا يمكن بحال
من الاحوال أن يصدق بما نسب اليه وأن العبيديين لما أطلقوا
العنان لاكاذيبهم لم يجعلوا لها ميزانا ، ولا حدا حتى أن البعض
من أكاذيبهم تعلن عن نفسه بداهة انها مختلفة وقد تنزه
بعض العقلاء عن نشرها لا شفقة عن أبي يزيد ولا ترفعا عن
نشر الكذب ولا احتراما للواقع ، ولكن لظهور أنها مختلفة
بداهة ، ولا بأس أن نورد قطعة صغيرة من النوع الذي
لا يقبله حتى الابل .

قال (التيجاني) وهو المعروف بعدائه للاباضية والكذب عليهم ما نصه : كان يفعل في الاسلام أشد مما يفعل في الحرب ، وأباح لرجاله أن يفعلوا ما شاؤوا فكانوا يقتلون وينهبون ولا يرحمون شيخا هزلا ولا طفلا صغيرا كما أطلقوا لشهواتهم العنان فاعتدوا على شرف النساء والفتيات ، وكذلك كان يقول (ابن حماد في أخبار ملوك بني عبيد) .

قال قاضي القضاة : أظهر اسماعيل بعد موته أبيه الرجوع الى الاسلام ، وقتل الدعاة ونفى بعضهم فقال للعمامة من سمعتموه يلعن الانبياء فاقتلوه وأنا من ورائكم وأذن للفقهاء والمحدثين وخضع للعمامة وزعم أن الذي شكنا من الدعوة ومن الناحية وعن المعتدين كان بغير علم أبيه ولا علم جده ، وأظهر الشغل بالفقه (83) . وقال أيضا ما نصه : لما مات القائم أبو القاسم في الحصار وعرض له وسواس وزال عقله مما نزل به من الذل ، وقتل الرجال وزوال الملك وجوع من بقى معه بالمهدية بالحصار ، وقام بعده ابنه أبو طاهر اسماعيل وضمن للناس تغيير سيرة أبيه وجده ، وأنه لا يتعرض لديانتهم ، وحلف على ذلك وأكد وأشهد واستعان بأبي الحسن عمار . فأشار عليه بهذه الامور واشتغل اسماعيل بأهل الجبال يقتلهم خوفا أن يشوروا عليه مثل أبي يزيد ، وتقدم اسماعيل الى الفقهاء بان يتركوا له حلقة في الجامع خاصة يقعد فيها أصحابه تكون حلقة لجعفر بن محمد ، فجلس جماعة لا يختلطون بالفقهاء وكانوا يتذكرون في حلقتهم ذكر

(83) تثبت دلائل النبوة ص 392 .

أفلاطون وبطليموس وأرسطو . فقال الناس هؤلاء ملاحدة وزنادقة وأعداء الانبياء فكيف تكون هذه الحلقة حلقة جعفر ابن محمد ، واذا نية اسماعيل غير صادقة وصافية فى الاسلام وانما أظهر الرجوع عن سيرة أبيه خوفا مما جرى . ثم أن اسماعيل استخلف ابنه أبا تميم فقرب الدعاة فقال هذا هو المهدي وهو الذى يملك وهو الشمس التى تطلع من غربها ، واتفق أن الروم أخذت تغير على المسلمين من طرسوس وغيرها فى أيامه واحتوت عليها فاشتد طمعه فى الاسلام وسره المصائب التى نزلت بالاسلام والمسلمين وبلغه أنه قد كتب على المساجد ببغداد لعن خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فطار سرورا بهذا وطنى وتجبر اه بنصه (84) . وقال أيضا أن الباطنية لما غلبوا شتموا الانبياء وعطلوا الشرائع وقتلوا الحجاج والمسلمين حتى أفنوهم واستنجوا بالمصاحف والتوراة والانجيل ، هذا ما وقع بالاحساء ، وكذا صنع من كان منهم برقادة والقيروان بأرض المغرب الى أن قام عليهم أبو يزيد مخلد بن كيداد بمن معه وحاربهم خمس سنين ، فلما انكشف أمر أبى يزيد عمن بالمغرب كفوا عن المكاشفة للعامة بشتم الانبياء وتعطيل الشرائع وصاروا يخدعون الناس سرا وينقلونهم عن الاسلام بالحيل من حيث لا يشعرون شيئا فشيئا (85) . قال ابن عذارى لما مات أبو القاسم ولى ابنه اسماعيل فأظهر للعامة الجميل ، فلما استفحل أمره وقويت

(84) تثبت دلائل النبوة . ج 2 ص 603 - 604 .

(85) تثبت دلائل النبوة ، ج 1 ص 107 .

شوكتة انقلب وأراد أن ينتقم من المسلمين فحال الله عز وجل بينه وبين ما أراد . وأجاب دعاء المسلمين فيه فاهلكه الله بالعطش حتى مات (86) . وكذلك قال ابن النديم (87) لما قام اسماعيل بتهدة الافكار والرجوع الى الاسلام خداعا كما تقدم بعث الى زيرى بن مناد وقومه يدعوهم لنصرته ويعددهم بأن يوليهم على بلادهم ، وفعلا ولاهم على أشير وأعمالها وأغدق عليهم الهدايا والاموال الشيء الكثير كما بعث الى جعفر بن على الاندلسى بهدايا وولاه امسيلة وأعمالها . قال ابن خلدون : أكرمه ووصله كما يجب له وقد بعث اليه ، فلما قدم عليه أكرمه وعقد له على قومه وعلى سائر بلادهم ، ولما رحل الى القيروان خلع على زيرى بن مناد ورهطه وضم اليه تيهرت واستقام أمر العبيديين ، وقد ولوا زيرى بن مناد على أشير وأعمالها وعلى مسيلة وأعمالها جعفر بن على الاندلسى وضم اليه الزاب ، ثم كانت العداوة والمنافسة بين جعفر الاندلسى وبين زيرى بن مناد ، مما أدى بجعفر أن مال بعسكره الى زناتة وناهضهم زيرى الحرب ، فكانت عليه من أمراء زناتة فكبا به فرسه فطاح فقصوا رأسه وبعثوا به مع جماعة من زناتة الى الحاكم المستنصر فكرم الحاكم وفادتهم ونصب رأس زيرى بسوق قرطبة وأسنى جوائز الوفاء .

وحاول أن يفكك وحدة زناتة قوم أبى يزيد فبعث بهدايا فاخرة الى أحد رؤسائهم وهو (محمد بن خزرامير مغروة) ،

(86) ابن النديم الفهرست 265 .

(87) البيان المغرب ، ج 1 ص 412 .

ووعده بعشرين حملا من المال فأجابه بالقبول (88) . لكن خالفه أخوه (سعيد) بن خزر وانضم ومعه قومه الى أبى يزيد فواصلوا الحرب ضد اسماعيل (89) . وواصل سعيد الحرب مع أبى يزيد الى أن هلك وقبض اسماعيل بعد ذلك على سعيد سنة 40 . فقتله ونصب رأسه فى القيروان وتحيز أخوه محمد ابن خزر الى الناصر الاموى وولاه على المغرب الاوسط وعظمت آثار محمد بن خزر لما نقض دعوة العبيديين وقتل أتباعهم وحدثت الفتنة بين صنهاجة ومغراوة واشتغل محمد بن خزر وابنه الخير بحروبهم (90) .

موت أبى يزيد مغلد بن كيداد

مات أبو يزيد فى احدى المعارك واختلفت الروايات على أنه ألقى عليه القبض وهو مشغن بالجراح فداواه اسماعيل ، وكانت له معه مفاوضات ، ثم أمر بسلخه حيا فمات حين وصلوا الى سرتة وألقى عليه القبض وهو ميت ، فأمر اسماعيل بحشوه تبنا واتخذ له قفصا فأدخل فيه مع فردين بلا عيانة وطاق به جميع البلاد (91) .

بربك أيها القارئ الكريم ماذا جنى من عمله هذا الا شيئا واحدا وهو أنه ان دل على شيء فانما يدل على سخافة عقله وعدم ايمانه .

(88) الكامل ج 8 ص 438 .

(89) ابن خلدون ، ج 7 ص 32 .

(90) ابن خلدون ، ج 7 ص 34 .

(91) ابن خلدون ، ج 4 ص 93 ج 347 .

أما أبو يزيد فإنه مات شهيدا يدافع عن الاسلام والمسلمين
وانه بدون شك سائر الى رحمة الله ، ولولا اخلاص صنهاجة
للعبيديين طمعا فى السلطة لقضى عليهم أبو يزيد .

فضل ابن أبى يزيد وأخوه أيوب يواصلان الجهاد بعد موت أبيهم

لما مات أبو يزيد كما تقدم فتح الله للاسلام والمسلمين من
ينتقم لهم من أعدائهم . قال ابن خلدون : لما مات أبو يزيد
لحق ابنه الفضل سعيد بن خزر وزحف به الى طبنة وبسكرة
وأغاروا على ساقية المنصور (92) . وهناك انتفض حميد
ابن يزول عامل تيهرت من أوليائهم ، فكانت له معهم حروب .
وواصل فضل بن أبى يزيد غاراته على جهات قسطنطية وقصده
ومضى فضل الى جبل أوراس (93) . وداخل البربر فى الثورة
فحاصر باغاية (94) . وقدم الفضل من القيروان الى أبيه
أبى يزيد بعسكر فوجههم الى قتال كتامة ، وقدم عليهم ابنه
الفضل (99) . قال ابن الاثير : وكان لابی يزيد ولد اسمه
أيوب أخرج معه عسكرا الى تونس فاحتلها وتوجه الى باجة
وسمع أيوب بأن (على بن حمدون) يجمع العساكر من المسيلة
وسطيف وغيرهما بأمر من القائم وهو بباجة فسار اليه أيوب
فكبسه وقتل منهم عددا كبيرا فهرب على بن حمدون ، ثم سار

(92) ابن خلدون ، ج 4 ص 93 ج 347 .

(93) ابن خلدون . ج 7 ص 34 ج 4 ص 94 .

(94) ابن خلدون ، ج 7 ص 944 .

(95) الكامل ، ج 8 ص 427 .

أيوب جريدة خيل الى طائفة من عسكر القائم خرجوا الى تونس فساروا واجتمعوا ووقع بعضهم على بعض ، فكان بين الفريقين قتال عظيم قتل فيه جمع كثير وانهزم عسكر القائم وكان أبو يزيد في ذلك الوقت بالقيروان ، ثم جمع عسكره وأخرج ابنه أيوب ثانية لقتال علي ابن حمدون بمكان يقال له (بلطة) ، فكانوا يقتتلون فمرة يظفر علي ومرة يظفر أيوب ، وكان علي قد وكل بحراسة المدينة من يثق به ، وكان يحرس بابا منها رجل اسمه أحمد فراسل أيوب في التسليم اليه على مال يأخذه فأجابه أيوب الى ما طلب ففتحه أحمد ودخل أصحابه المدينة وهرب علي الى بلاد كتامة (96) . قال ابن خلدون : لما بلغ القائم أن فضل بن أبي يزيد أغار على جهات قسطلية خرج في طلبه وهرب فضل الى الرمال ، فلم يقدر عليه ورجع فمضى فضل الى جبل أوراس سنة ست وثلاثين ، ثم سار منها الى باغية فحاصرها وغدر به ماطيط ابن يعلى من أصحابه فقتله وجاء برأسه الى المنصور (97) ، واغتال بعد ذلك عبد الله بن بكار من رؤساء مغراوة أيوب ابن أبي يزيد ، وجاء برأسه الى المنصور متقربا اليه (98) . وقال (ابن باجية) قام الفضل بن أبي يزيد ببعض الاضطرابات في ناحية قفصة الى أن قتل سنة 336 هـ 947 م . وبقية أبناء أبي يزيد وجدوا ملجأ في البلاط الاموي بقرطبة

(96) الكامل ، ج 8 ص 432 - 433 ابن خلدون ج 4 ص 88 - 89 ج 317 .

(97) ابن خلدون ج 7 ص 35 ج 4 ص 94 الكامل ج 8 ص 441 .

(98) ابن خلدون ج 7 ص 35 .

ولم يتم الاستيلاء على أسطول عبد الرحمن الثالث الا فى عهد المعز (99) .

دولة أبى يزيد لم تنته بموته ولا بموت أبنائه

قد سبق أن سعيد بن خزر وقومه مغراوة كانوا دائما مع أبى يزيد وابنه الفضل فواصل العمل واستولى بالقوة على ما كان بأيدي أبى يزيد وابنه ، ولم يزل المنصور فى طلبه حتى أخذ فى بعض الوقائع فسيق مع ابنه الى المنصور فطيف بهما فى أسواق المنصورية ، ثم قتلا وذلك سنة احدى وأربعين وثلاثمائة (100) . ولم يزل محمد بن خزر وابنه الخير من مغراوة متغلبان على المغرب الاوسط (101) . وبقيت زناتة متماسكة لم تخضع لبنى عبيد حتى كانت ست وأربعين وثلاثمائة صعد المعز لجبل أوراس ، وكان فيها بنو كملان ومليلة وقبيلتان من هواراة وتفاوض معهم ودخلوا معه البلاد وأمر نوابه بالاحسان الى البربر فلم يبق أحد منهم الا أتاه وأحسن اليهم المعز ، ومن جملة من أتاه واستأمنه محمد ابن خزر الزناتى أخو سعيد فأمنه المعز وأحسن اليه (102) . قال ابن خلدون : وفد محمد بن خزر على المعز بعد مهلك أبيه اسماعيل سنة اثنين وأربعين فأولاه تكرمة ، ولم يزل متغلبا على المغرب الاوسط بتيهت ووهران الى سنة 350 خمسين

(99) ابن خلدون ج 4 ص 95 .

(100) ابن خلدون ج 7 ص 55 .

(101) ابن باجية الاباضية بالجريد ص 122 .

(102) الكامل ج 8 ص 499 .

وثلاثمائة وفد على المعز فهلك بالقيروان ، وقد نيف على المائة من السنين ، لكن وان كان بينهم وبين المعز هدنة فان الحرب مع صنهاجة على السلطة لم تهدأ (103) . وكانت الحرب بينهم متواصلة فاضطروا الى مفاوضة أمراء الاندلس فأجاز محمد ابن الخير البحر الى المنصور بن أبى عامر صريخا فخرج المنصور فى عساكره وعقد لجعفر بن على على حرب بلكين وأجازه البحر وأمده بمائة حمل من المال واجتمعت اليه ملوك زناتة وأطل عليهم بلقين فرأى ما لا قبل له به فارتحل عنهم (104) .

كيف كانت افريقيا بعد موت أبى يزيد

تواصلت الثورة الى سنة 342 كما تقدم فبدا الاستقرار وأنشأ الاباضية فى مواطنهم امارات صغيرة منفصلة كما فعلت صنهاجة وتهادنوا مع العبيديين فكانت بنى برزال وسبالات بنواحي مسيلة وتداولت على تيهرت مغراوة وبنو خزر واسترجع بنو مدرار دولتهم بسجلماسة وأنشأت هواره (دولة بنى الخطاب) بزويلة جنوب ليبيا ، واستقلت نفوسة وكانت دولة (بنى دمر) بالجنوب التونسى ، ثم كانت لهم دولة فى الاندلس زمان ملوك الطوائف عاصمتها استيجه كما كانت لبنى برزال كذلك عاصمتها قرمونية ولى رسالة فيها كانت (امارة بنى كملان) من بنى يفرن بأوراس وحافظت مغراوة على الدولة التى أسسها أبو يزيد بوارجلان والحديث على هذا كله

(103) ابن خلدون ج 7 ص 555 .

(104) ابن خلدون ج 7 ص 59 - 60 .

يخرج بنا عن موضوعنا ولا يكفى فيه الاختصار . وبقيت الاباضية تتحكم فى أمورها وتسيرها حسب نظمها وهدأت الحرب بينهم وبين العبيدين الا ما كان من (ثورة أبى نوح سعيد بن زنگيل) وأبى خزر (يغلى بن زلتاف) وسأخص لها دراسة خاصة ان شاء الله . وما قيل من أن الخراب قضى على الاباضية بموت أبى يزيد ليس بصحيح . ان الخراب نالهم عندما اجتاحت افريقيا جحافل الهلالين كما هو مشهور ، ثم استرجعوا قوتهم ووجدتهم أكثر مما كانوا عليه فى أى زمان (بالدولة الموحدية) فانها دولة خارجية اباضية . وكان من أساطينها ومن كان له القسط الاكبر فى بسط نفوذها بالمغرب الاوسط السياسى المحنك والعالم الجليل الشيخ أبو يعقوب يوسف ابن ابراهيم السدراتى ومستشار أبى يعقوب المنصور الشيخ أبو يعقوب زكرياء صالح اليراسانى (105) وخرب بلدانها وفكك وحدتهم ابن غانية الميورقى الملعون وكل هذا يحتاج الى بسط كبير ودراسة وافية لا يتسع لها المقام .

الخلاصة فى ثورة أبى يزيد

ان ثورة أبى يزيد مغلد بن كيداد كانت دفاعا عن الاسلام ضد القرامطة كما أكد ذلك كثير من العلماء كما تقدم . ولكن كان من الطبيعى ككل الثورات فى العالم فكل من قام ضد أى حكومة ، ولم يتوصل الى ازالتها والقضاء عليها ،

(105) كتاب الطبقات للدرجيني ج 2 ص 502 سبر الشماخي ص 449 .

فانها تسلط عليه سيلا جارفا من الاكاذيب ترميه بما لا يقبله المنطق ولا يصدقه العقل ولا بأس أن أورد ما ذكره ابن الاثير فى الجزء الثامن من كتابه الكامل طبع ببلرار بيروت للطباعة وكانت هذه الاكاذيب منحصرة فى عشرين أسطورة بدأها أن أبا يزيد عزم على الثورة ومعلوم أن مذهبه تكفير أهل الملة واستجابة الاموال والدماء . يربك أيها القارئ الكريم متى كان المذهب الاباضى يقول بتكفير أهل الملة واباحة الاموال والدماء من أين وجدوا هذا ؟ ثم قال بمجرد هبوطه من أوراس صار يغير ويعرق ويفسد . وقال : جاء الناس الى الجامع الاعظم بالاريس فقتلهم بعد أن أحرقها ونهبها وقال أنه عول على أخذ بلاد افريقيا وخرابها وقتل أهلها وقال : دخل باجة فأحرقها ونهبها وقتلوا الاطفال وأخذوا النساء وكتب الى القبائل يدعوهن الى نفسه فأتوه . انظر معى أيها القارئ كيف أن آخر هاته الاسطورة يكذب أولها . كيف يأتوه مع أن اعماله التخريب . قال أن أهل تونس أرادوا أن يقتلوا عاملها ففر وكاتبوا أبا يزيد ليدخلوا تحت طاعته فأعطاهم الامان وقال أتاه كثير من أهل القيروان خوفا ورعبا فدخل البربر المدينة فأفسدوا وقتلوا . وقال أيضا بعث أبو يزيد أيوب الزويلي فنهب البلد وعمل عملا عظيما وخرج شيخ أهل القيروان الى أبى يزيد فطلبوا منه الامان فمأطلهم وأصحابه يقتلون وينهبون ويغنمون ويعودون ، وقال وفى مدة حصار المهديّة يبعث السرايا الى كل ناحية ينهبون ويغنمون ويعودون وأرسل سرية الى سوسة ففتحوها بالسيف قتلوا الرجال وسبوا النساء وأحرقوها وشقوا فروج النساء وبقروا البطون حتى لم يبق

في افريقيا موضوع معمور ولا سقف مرفوع ، وسار جميع من
 بقى الى القيروان حفاة عراة ، ومن تخلص من السبى مات
 جوعا وعطشا ، وقال عندما وقع الجوع بالمهدية بالحصار كثر
 خروج التجار والسواقة منها فكان البربر يأخذون من خرج
 يقتلونهم ويشقون بطونهم طلبا للذهب . وقال كان البربر
 يأتون الى أبى يزيد من كل ناحية ينهبون ويقتلون ويرجعون
 الى منازلهم حتى ما كان بافريقيا موضع لم ينهبوه ، وتوقفوا
 حينما لم يبق ما ينهبون . وقال عند حصاره المهدية أتاه
 خلق عظيم من افريقيا البربر ونفوسة والزاب ، وقال بعد
 أن ذكر الجوع كما تقدم قالوا الآن لما ترك أبو يزيد حصار
 المهدية خرج القائم فوجد الطعام والخيام وغير ذلك فحسنت
 أحوالهم واستراحوا من شدة الحصار ورخصت الاسعار .
 (عجيب والله أنهم بقولهم هذا أحبطوا كل ما بنوه من
 الاراجيف وقضوا على كل ما نسجوه من الاكاذيب) . وقال :
 ثار أهل سوسة على أبى يزيد فقبضوا على جماعته من أصحابه
 فأرسلوهم الى القائم فشكرهم على ذلك ، ولما اجتمعت العساكر
 الى أبى يزيد أرسل الجيوش الى البلاد وأمرهم بالقتل والسلب
 والسبى والنهب والخراب واحراق المنازل . فوصل العسكر الى
 تونس فنهبوا جميع ما فيها وسبوا النساء والاطفال وقتلوا
 الرجال وهدموا المساجد ونجا كثير الى البحر ففرق . وقال :
 هجم رجال من البربر فى الليل على رجل من أهل القيروان ،
 وأخذوا ماله وثلاثة بنات أبكار ، فلما أصبح الصباح واجتمع
 الناس لصلاة الصبح صاح وذكر ما حل به فاجتمع خلق عظيم
 ووصلوا الى أبى يزيد فأسمعوه كلاما غليظا فاعتذر اليهم

ولطف بهم وأمر برد البنات ، وقال لما انصرفوا من عند
أبى يزيد وجدوا رجلا مقتولا فسألوا عنه فقل أن الفضل
ابن أبى يزيد قتله وأخذ امرأته وكانت امرأة جميلة فاجتمع
أصحاب أبى يزيد فلاموه فاعتذر اليهم وترك السلب والنهب
وقال انهزم أبو يزيد من سوسة فأراد أن يدخل القيروان
فمنعه أهلها ورجعوا الى دار عاملها وأرادوا كسر الباب فنشروا
على رؤوسهم الدنانير فاشتغلوا عنه فخرج الى أبى يزيد وأخذ
أبو يزيد امرأته وتبعه أصحابه بعيالاتهم .

تأمل معى أيها القارئ الكريم ما هذا التناقض ! ممنوعه من
الدخول للقيروان مع أن عاملها موجود معناه أنها تحت حكمه
ونفوذه فهلا أخرجوا العامل قبل ذلك ، ثم أنهم لاجل الدراهم
ترك العامل حرا فخرج ثم أن أبى يزيد أخذ امرأته وتبعه أصحابه
بعيالاتهم معناه أنهم لم يمنعوه الدخول ، وأنه هو المسيطر
على القيروان وهذا تناقض غريب لان من اختلق هذه الأكذوبة
لم يتقن نسجها . وقال : أرسل أبو يزيد الى المنصور سائل
أن يسلم اليه حرمه وعياله الذى خلفهم بالقيروان . (وقد
سبق أنه أخذ عياله) تأمل . فان فعل دخل فى طاعته على أن
يؤمنه هو وأصحابه وحلف له بأعظم الايمان فأجابه المنصور
الى ما طلب وأحضر عياله وسيرهم اليه مكرمين بعد أن وصلهم
وأحسن كسوتهم وأكرمهم ، فلما وصلوا اليه نكت جميع ما
عقده ، وقال انما وجههم خوفا منى . (انظروا الى هذا
التناقض الغريب فبينما يقول أنه أخذ عيالاته من القيروان
وخرج يناقض نفس ما قال وزعم أنه اتفق مع المنصور على

أن يسلم له عياله وحرمة ففعل ونكت العهد ، وهذا لا يحتاج الى الرد فكذبه واضح مفضوح) .

أما ما تقدم من النهب والسلب في القيروان وما ذكر من أنه نزل من أوراس أول مرة ، فشرع في النهب والسلب فنتركه الى ما صرح به علماء القيروان ، وكذلك ما ذكر البعض من أن علماء القيروان اغتروا به لانهم لم يعرفوا مذهبه مع خطبة الجمعة التي كانت باملاء نيف وأربعين عالما من كبار علماء المالكية واتفاقهم على الدعوة الى نصرته يقولون فيها أن أبا يزيد اباضى والاباضية مسلمون يدافعون عن الاسلام وثورة أبى يزيد جهاد فى سبيل الله من الواجب الانضمام اليه ونصرته واحد الوية علماء المالكية يقود جيشا للجهاد مع أبى يزيد مكتوب فيه نصر من الله وفتح قريب على يد أبى يزيد وتأيد عبد الرحمن الناصر الاموى وهو المشهور بغيرته على الاسلام لابی يزيد وثورته والاستقبال الرائع الذى استقبل به فى كامل البلاد يفند هذه المزاعم والاكاذيب ، وقد أيد هذا ما ذكره قاضى القضاة عبد الجبار الهمداني عن ثورة أبى يزيد فى كتابه تثبيت دلائل النبوة وذكره كذلك الدباغ فى الجزء الثالث من كتاب معالم الايمان وأبو بكر المالكي القيروانى فى تاريخ القيروان (المخطوط بالمدينة المنورة) . وابن النديم فى الفهرست وابن عذارى فى كتابه البيان المغرب فى تاريخ المغرب ، ومن الاسف أن المؤرخ الكبير أبا العرب التميمي الذى رأس الوفد الذى بعثه أبو يزيد للامير الاموى الذى ألف كتابا فى التاريخ فى سبعة عشر جزءا ، ويتحدث عما شاهده . وكتابا آخر فى طبقات علماء افريقيا كما نص على ذلك صاحب

معالم الايمان ، وقلنا من الاسف أنها اتلفت حتى يبقى المجال
لنشر الاراجيف والاكاذيب ، وأظن أن العاقل المنصف لا يحتاج
لاكثر من هذا . والغريب أنهم أكثروا من القتل والسلب
والنهب ، ولم يذكروا ولو اسما واحدا من غير جنود العبيديين
مما يدل على أن ما ذكروه خيال لا وجود له ، والا فأنتم ترون
أسماء العلماء والفقهاء وأئمة المساجد الذين قتلهم العبيدي
ذكروا بأسمائهم ومن المستبعد جدا أن يذكروا أنه خرب عدة
مساجد وقتل من فيها ، ولم يذكروا ولو اسما واحدا . وبقي
لى أن أشير بلمحة صغيرة الى ما كتبه الاباضية أنفسهم عن
ثورة أبى يزيد . ان الاباضية تحدثوا عن أبى يزيد قبل
الثورة فذكروا أنه كان رفيقا أيام طلبه العلم لاحد كبار
علماء الاباضية وهو الشيخ أبو الربيع سليمان بن زرقون ،
وانه تخرج من أكبر مدرسة اباضية فى ذلك العصر ، وهى
مدرسة سجلماسة لكنهم تنكروا به بعد قيامه بالثورة بشيء
لا اعتبار له لمن أمعن النظر فى القضية ، وذلك أنهم قالوا
انه من النكار ، وقضية النكار مسألة محلية بنت ساعتها ،
ماتت فى المهدي ، وكانت قبل ثورة أبى يزيد بحوالى قرن
ونصف ، وما تمسكهم بهذه القضية الا وقاية لانفسهم عن
التهمة ، ولم يتناول البحث عنه الا بعد ثلاثة قرون من بعد
ثورته ، اما لانهم ألفوا فيه فاتلفت مؤلفاتهم فيه كغيرها كما
هو معروف ، أو خشية اتهامهم بالتواطؤ معه ويتعرضون
للانتقام من العبيديين ، هذا من ناحية الابتعاد عنه بصفته من
(النكار) . وأما ما نسبوا اليه من القتل والسلب فهو نقل
بعض عبارات غيرهم بنصها ويعبرون عنها بقتل كذا وكذا

الخ ... فهلاذكروا ولو خلافا واحدا وقع بينهم ، اللهم الا
 ماذكروه عن أبى القاسم وأبى خزر مع ولده الفضل .
 وظاهر عليها الاصطناع ، والا كيف كانت مدة حكمه ، وهو
 خمس سنين فى انسجام حتى مات فظهر نوع من الابتعاد عن
 ولده . ألا يدل هذا دلالة واضحة على أنهم يريدون الابتعاد
 عن التهمة ، وضرورى أن يقوموا بهذا والا كانت التهمة
 موجهة اليهم ؟! وبالجملة فكل من لم يكن فى افريقيا فى ذلك
 الوقت الا ويكتب عن أبى يزيد وأولاده خيرا ، وقد تقدم
 بعض العلماء ومن جملتهم ما ذكره ابن خلدون بعد ذكر ما
 وهب الله لزناته من جماع الخير وآثرهم الله به من مذاهب
 الكمال وجمع لهم من متفرق خواص الانسان ، فكان من
 مشاهير حملة العلم فيهم سعيد بن واصول جد بنى مدرار ملوك
 سجلماسة أدرك التابعين وأخذ عن عكرمة ، وكان منهم
 أبو يزيد مغلد بن كيداد اليفرينى الخارج على الشيعة أخذ
 العلم بتوزر ورأس فى الفتيا وقرأ مذهب الاباضية من
 الخوارج وصدق فيه وهو من الشهرة فى هذا الجيل لا يغفل
 (106) . يقول ابن خلدون عند الحديث عن انساب البربر أن
 من نسبهم أيوب بن أبى يزيد (107) . قال ابن خلدون نقل
 ابن حزم نسب البربر عن يوسف الوراق عن أيوب ابن أبى
 يزيد (108) . قال ابن حزم ذكر يوسف الوراق نسب البربر
 نقلا عن أيوب بن أبى يزيد مغلد بن كيداد (109) .

(106) ابن خلدون ج 6 ص 210 .

(107) ابن خلدون ج 6 ص 186 .

(108) ابن خلدون ج 7 ص 176 .

(109) جمهرة أنساب العرب ص 495 .

خاتمة

أختم بحشى هذا الذى حملنى عبئا ثقيلا فى البحث عن الحقائق التاريخية واستخلاصها من التزييفات الباطلة التى تراكمت عليها والاكاذيب التى أفرغها عليها دعاة الدولة العبيدية لاختفاء ما قاموا به من الدعوة للفكر وشتم الصحابة رضى الله عنهم والفتك بالعلماء الذين رفضوا الدخول فى مذهبهم الباطنى ، واعتمد فى هذه الخاتمة على الفصل القيم الذى كتبه صديقى الحميم الاخ الدكتور احسان عباس أستاذ الجامعة الامريكية ببيروت ، ونشرته مجلة الاصاله فى عددها الصادر بتاريخ جانفى 1977 رقم 41 تحت عنوان مصادر ثورة أبى يزيد ، وقد قسم تلك المصادر الى ثلاثة أقسام المصادر الاسماعيلية والمصادر السنية والمصادر الاباضية ، وأنا أقسمها الى قسمين فقط . المصادر الاسماعيلية والمصادر الغير الاسماعيلية سواء منها السنية والاباضية ، فالمصدر الاسماعلى يكيل لابی يزيد جميع الشتائم وينسب اليه جميع المخازى ولا يعد له ولو حسنة واحدة ، والمصادر السنية والاباضية تأتى بالحقائق التاريخية ، وكلها محاسن لان الجميع شارك معه فى جهاده ، ثم تنتقل عن الاسماعلية بعض الاكاذيب فى دائرة محدودة تقيية اذ لا يمكن بحال من الاحوال أن يصدق عاقل أن ينضم اليه علماء المالكية بالقيروان ويمكنوه بجيش عرمرم من شبابهم . لو أتى بأقل قليل مما نسب اليه . وايضاها للحقيقة وتثبيتا لما تقدم ، أنقل ما كتبه صاحب التحقيقات التاريخية د. احسان عباس نقلا عن مصادر سنية واباضية ،

فانها وان نقلت عن مصادر العبيديين بعض ترهاتهم . اما
 تزلفا أو فتنة لانهم تحت حكمهم فانهم لم يغفلوا عن الحقائق
 وأنبذ كل ما جاء فى المصادر العبيدية ، فكلها شتم مفذع لابی
 يزيد ظلما . وأنقل كمثال لذلك ما كتبه د. احسان عباس عن
 القاضى النعمان بن محمد المتوفى سنة 363 ما نصه (110) .
 يقول دون تردد أنه أخطر مصدر تناول شخصية أبى يزيد
 وثورته لانه طبع بطابعه أكثر المصادر التى جاءت ، ورسخ
 ما شاء أن يرسخ من معلومات حول تلك الثورة وصاحبها ،
 فهو الذى أخضع حركة التاريخ للرؤيا التنبؤية حين زعم أن
 المهدي كان يعرف بعلم سابق أن اللعين الدجال سيعلم الثورة
 ومن أجل ذلك بنى المهدي وملاها بالطعام ومن أجل ذلك لم
 يعبأ القائم بمقاومة أبى يزيد لانه كان يعلم أين يبلغ فى
 ثورته (111) . وهذا المصدر هو الذى حدد المبادئ التى كان
 يدين بها أبو يزيد واطفى عليه من استباحة القتل ما يقف
 المرء مترددا فى تقبله ، بل هو الذى نسب حتى الى صاحبه
 أبى عمار انكار ذلك عليه بشدة ، وأغرب من ذلك أنه نسب
 اليه من استباحة الفروج من القصص التى انحدر بعضها الى
 المصادر التالية ما يسلبه كل حصافة فى النظرة السياسية لدى
 الاولياء والاعداء على السواء ويجعله أقل الناس فهما للعادات
 والتقاليد ولا ريب أن هذا المصدر حين يلح على هذه الناحية
 يفضح خطة متعمدة للتشويه متعمدا ناحية شديدة الحساسية

(110) الاصاله ص 27 .

(111) غريب أن يقول هذا مع أنه جميع المؤرخين يقولون أنه مات غما
 وكما من أجل أبى يزيد .

عند العرب والبربر فى تهجين أبى يزيد ، ومما يقوى الشك فى نوايا هذا المصدر اشارته الدائمة الى أصحاب أبى يزيد باسم البربر مع اننا نعلم أن أكثر الملتفين حول الدولة العبيدية من كتامة وصنهاجة وهم أيضا من البربر ويعد هذا المصدر مرجعا هاما للصورة الادبية التى واكبت ثورة أبى يزيد . ولكن اذا أمعن الدارس النظر وجد أن هذا المصدر قد أهمل أمورا هامة منها أنه لم يعن كثيرا بايراد وصف دقيق عن أولية أبى يزيد ونشأته ودراسته وصلته بمصر والاماكن المقدسة والخطوات التمهيدية التى أدت الى الثورة ومنها اغفاله الحديث متعمدا على ما يبدو عن الدور الذى قام به فقهاء المالكية بالقىروان فى ثورة أبى يزيد . ومما يوضح التناقضات التى يقع فيها هذا المصدر ما حكاه عن دور (خليل بن اسحاق) أو (خليل بن عدنان) فهو يخلق المعاذير لتصرفات خليل ، ثم لا يلبث أن ينسى ذلك كله فيحمله الائمة فيما وقع فى القىروان ، ولما كان خليل من أكبر أنصار الفاطميين فان تناقض فعله مع ما كان ينتظر منه أوقع المؤلف فى شىء غير قليل من التردد ازاء اذاعته النهائية . ويجىء كتاب تثبيت دلائل النبوة للقاضى عبد الجبار بن أحمد المعتزلى المتوفى 415 ، فكتاب القاضى ليس مصدرا تاريخيا بالمعنى الدقيق ، ولكنه يكشف عن تفسير خاص للثورة وشخصية صاحبها . فأبو يزيد امرؤ ضعيف فى حاجة الى حمار لانه يعجز عن ركوب فرس ، وقد اتبعه الناس لانه أزال الظلم والمكوس عنهم والقائم لم يكف عن محاربة أبى يزيد ، لانه كان يعلم أين سيبلغ وحتى يبدأ نجمه فى انحدار وانما

لان القائم عرض له وسواس وزال عقله مما نزل به من الذل
وما انصرف الناس عن أبى يزيد الا أن المنصور ضمن لهم
تغيير سيرة أبيه وجده والا يتعرض للديانات كما أنه أخذ
يتألفهم بأعمالهم ، أما فى بادئ الامر فان الناس التفوا حول
أبى يزيد وهم يعلمون أنه نكارى لانهم قالوا : « هذا وان
كان من الشراة فليس ينكر الربوبية ، ولا يكذب الرسل ، ولا
يلعن الانبياء ومعه حفظ الاموال » . وقد انفرد القاضى
عبد الجبار بين جميع من أرخوا تلك الثورة بتفسيره الخاص
لبعض مظاهرها وتقلبات الاحوال فيها .

وبينما كانت المؤلفات المشرقية السنية المبكرة تنتحى
منحنى جدليا بتأثير من ابن رزام ، كانت المؤلفات المغربية
القريبة نسبيا من عصر تلك الثورة تخضع بدرجات متفاوتة
لوقوع مؤلفيها فى حيز الدولة الفاطمية أو المؤثرات الفاطمية
وللمصادر الفاطمية المبكرة .

ان الرقيق عاش جانبا من حياته حين كانت افريقيا ما
تزال تعترف بالنفوذ العبيدى ، ولهذا ليس ما يمنع أن تكون
مادة التاريخ التى كتبها المؤلفون الاسماعيليون مقبولة لديه
بقوة ، ويبدو أن الرقيق انفرد أيضا بذكر أمور لم ترد فى
المصادر الاسماعلية وحين يصرح ابن عذارى بالنقل عن
الرقيق نجد هذا المؤلف ينفرد بذكر تسمية جديدة لابي يزيد
وهى « شيخ المؤمنين » . ويأتى كتاب « رياض النفوس »
للمالكي تكميلا للنقص المتعمد فى كتاب القاضى النعمان اذ
أبرز المالكي وعنه القاضى عياض فى كتابه « ترتيب المدارك »

الدور الكبير الذى قام به علماء المالكية القيروانيون فى تأييد
 ثورة أبى يزيد بالخروج معه وحث الناس على الانضمام اليه
 واصدار الفتاوى بذلك وبين الفتوى التى أصدرها المسمى
 وهى فتوى نموذجية ، وما استنتجه القاضى عبد الجبار يشبه
 قوى يوحى بأن عبد الجبار صاغ فحواها بأسلوبه الخاص اذ
 يقول المسمى : ان الخوارج من أهل القبلة لا يزول عنهم اسم
 الاسلام ... وبنو عبيد ليسوا كذلك لانهم مجوس زال عنهم
 اسم المسلمين . ويقوى المالكى من الدواعى التى هيات لاعلان
 الثورة على بنى عبيد حين يعدد الكبائر التى ارتكبوها ،
 وألوان التعذيب التى أنزلوها بعلماء المالكية . ولا ريب فى
 أننا هنا ازاء موقف مذهبى تطغى فيه الاتهامات ، وهو يمثل
 نقضا مباشرا للمصادر الشيعية ، ولكن هذا اللون من المصادر
 السنية لا تعنيه شخصية أبى يزيد أو ثورته الا بمقدار ما
 كانت تمثله من انقاذ مأمول للمذهب المالكى أو للسنة من
 سيطرة العقائد الاسماعلية . اذ نجد عند ابن سعدون تفصيلات
 دقيقة عن الرايات التى حملها فقهاء القيروان حين انضموا الى
 أبى يزيد شبيهة بالتى ذكرها المالكى ، كما أن ابن سعدون عد
 من انضم للثورة من الفقهاء والعباد رجلا رجلا ، وتدل الخلاصة
 التى أوردها ابن عذارى نقلا عن كتاب ابن سعدون « تعزية
 أهل القيروان لما جرى على البلدان من هيجان الفتن وتقلب
 الازمان » . على أن موقف ابن سعدون من العبيديين لا يختلف
 كثيرا عن موقف ابن رزام أو الباقلانى . وانه كان يكن عداء
 شديدا لهذا المذهب وعصبية مشوبة بالحزن على ما أصاب بلده .
 وبسبب الصلة بين ثورة أبى يزيد والخلافة الاموية فى الاندلس

يمكن أن يعد كتاب « المقتبس » لابن حيان من المصادر الهامة عن باب من تلك الثورة ، أعنى جانب البعوث والسفارات التى وفدت على الخليفة عبد الرحمن الناصر من لدن أبى يزيد تطلب الامداد . ولكن ما ورد فى « عيون الاخبار » يدل على النقص اذ يصرح هنالك أن الناصر أرسل لابی يزيد مددا مع أيوب ابنه كما أمر فى مرة أخرى محمد بن رماحس عامل بجاية بالابحار فى اسطول فيه عسكر كثيف وملاح لمعونة أبى يزيد وتشير بعض الروايات الى أن أبا يزيد دعا الناصر منذ بداية ظهوره ، فمن المستبعد أن يهمله عبد الرحمن ويتركه بدون مدد .

وحين نبلى ان حماد أو (ابن حماده) صاحب كتاب « القبس » نقف عند حلقة هامة فى سلسلة المؤرخين السنيين الذين كانوا ما يزالون ينظرون الى ثورة أبى يزيد والى الخلافة الفاطمية نظرة مقارنة وموازنة ، فأبو يزيد عند هذا المؤرخ عقوبة من الله للشيعنة الذين أمروا بسب الغار وصاحبه وافترضوا القتل والتعذيب . لما كان أبو يزيد (نكاريا) أى منشقا على الاباضية فليس من المنتظر أن يعامله مؤرخو الاباضية بتسامح كثير أو يعتبروه « مجاهدا » قام لمحو الباطل ، ولعل أبا زكريا الاباضى (أواخر القرن السادس) أميل الى صف الفاطميين منه الى جانب أبى يزيد ، فهو يقترب منه بفرعون ، بل أن أبا يزيد اقترف من أعمال العنف والكفر ما فاق به فرعون مما يروى عنه ، ومن أشد المصادر الاسماعلية عداوة لابی يزيد ، ثم هو المقابل يتقبل الرواية التى تتردد على علم المهدي بالغيب

وأنه كان يعرف بخروج بربرى عليه . ومن أجل ذلك بنى المهدية ، ولدى أبى زكريا معلومات لم توردها المصادر الاخرى عن أولية أبى يزيد ونشأته ، ولكن ميل المؤلف الى الاساطير يجعل الدارس مترددا فى حمل رواياته على محمل القبول . وخاصة فى أخباره من مرحلة المد فى انتصارات أبى يزيد . كما أنه يردد عن « فحولة » أبى يزيد قصصا ... كالتى أوردها المصدر الاسماعيلى ، ولعل معظم المادة التى أوردها أبو زكريا هو مجموعة الحكايات التى ظل يتناقلها الناس البسطاء فى مجالس سمرهم وأن لون التاريخ أصبح فيها باهثا .

مما تقدم نرى أن المصادر عن أبى يزيد وثورته مرت فى ثلاث مراحل .

(1) مرحلة القضية : تصارع قضية أخرى ، وفى هذه المرحلة استطاعت المصادر الفاطمية أن تؤكد بالسبق الزمنى كل ما تريد أن تصم به أبا يزيد وثورته . ووضعت حول كثير من الحقائق الموضوعية ستارا كثيفا من الدخان . دخان العداوة المذهبية لم يستطع أحد اختراقه .

(2) مرحلة القضية المضادة . وقد تولتها مصادر سنية لكنها فى الوقت نفسه لم تستطع أن تتعاطف مع شخصية أبى يزيد وقد أدى بها ذلك الى تقبل كثير من التهم التى رددتها مصادر المرحلة الاولى ، وشاركتها فى ذلك المصادر الاباضية .

(3) مرحلة النقل المحض : واذا استثنينا ابن عذارى الذى مال الى النقل عن مصادر أخرى من المرحلة المضادة وجدنا

أغلب المؤرخين والجغرافيين قد لجأوا الى نقل روايات مؤرخي المرحلة الاولى مباشرة أو بالواسطة وباستثناء القاضى عبد الجبار وهو يتجنب الدخول فى التفاصيل لا نجد أحدا يحاول أن يرى ثورة أبى يزيد من زاوية ايجابية . وعلى هذا ظل أكثر ما عرف من تفاصيل عن هذه الثورة يمثل ما يريده التاريخ الرسمى . لا صورة ما جرى فى الواقع . وأخيرا أنقل ما كتبه المؤرخ الاستاذ عبد الرحمن الجيلالى الذى لم ينقل ، ولم يكن كخاطب ليل ، انما نقل ما هو أقرب الى الواقع ، متجنباً الدعاية المفرضة التى كان الغاية منها تشويه الحقائق قال : ثورة أبى يزيد الخارجى .

كان أبو يزيد الخارجى هذا رجلاً مشهوراً بالتقشف يركب الحمار ويلبس الخشن من الصوف متسماً بالسنة آخذاً نفسه بالحسبة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويعلم الصبيان القرآن ويؤدبهم ، واسمه أبو يزيد مخلص بن كيداد المشتهر بصاحب الحمار ومذهبه النكارية من فرق الخوارج متعصباً لمذهبه النكارية وهو من أهل جبل أوراس ، ففى سنة 332 هـ 943 م بايعه أهل الجبل على الثورة فى وجه الشيعة وتلقب بشيخ المؤمنين وعمره يومئذ ستون سنة ، فخرج معه الكثير من الخوارج من زناته ، ومشايخ المالكية أيضاً وكلهم يدعو الى مبايعة الخليفة عبد الرحمن الناصرى الاموى صاحب قرطبة وذلك توصلاً منهم نبذ الدعوة الشيعية وتحرير البلاد من سلطة العبيديين . خرج أبو يزيد من أوراس على رأس هذه الجموع ناشراً ألويتة الصفراء فاحتل من بلاد الجزائر مدينة (تبسة ومجانة وبجاية) ، وغالب مدن القطر الجزائرى

الشرقية وحاصر قسنطينة وبلغ فى سيره الى القيروان ، ثم الى تونس فاحتلها وحاصر المهديّة دار ملك العبيديين ثمانية عشر شهرا حتى كاد الخليفة المنصور العبيدى وهو يومئذ أن يغتم ويياس لولا أنه عجل بالحيلة فى التخلص بنفسه منها فذهب الى بسكرة ثم الى مقره من بلاد الزاب الجزائرى ، ومن هناك كاتب رئيس صنهاجة زيرى بن مناد مستنجدا به على أبى يزيد وأهدى اليه فى ذلك أموالا كثيرة وحللا وتحفا نفيسة ، كما استعان أيضا بصاحب مسيلة على بن حمدون فلبى كل منهما دعوة المنصور وخرجت الجحافل وأحاطت بأبى يزيد وهو يومئذ محاصرا للمهديّة فأخرج عنها فى صفر سنة 334 هـ سبتمبر 945 م ، وفى أثناء ذلك نهض شاب بجبل أوراس متزعما حركة أخرى ضد الشيعة أيضا فقبض عليه صاحب المسيلة وجاء به مصفدا الى الامير فأسى بعمله معه وصلبه أينما حل وارتحل فكان يظهره للناس مصلوبا ارهابا لهم وظل أبو يزيد ينتقل به فى العواصم والبلاد الجزائرية والخليفة المنصور فى أثره .

قبض المنصور على أبى يزيد مثخنا بالجراح بجبل معديدا أو المعاضيد كما هو معروف به اليوم بشمال الحضنة فى محرم سنة 336 هـ جويليت 947 م ، فأمر الخليفة بأسعافه فغلب عليه ونزف الدم فمات يوم الخميس لليلة بقيت فى المحرم فثل الخصماء بجثته وعبثوا بها ، ويومئذ نهض أبناء أبى يزيد الثلاثة : الفضل ، وأيوب ، ويزيد ، فى قومهم مناديين باستمرار الثورة فى العبيديين والمطالبة بدم أبيهم فانتشبت الحرب من جديد وتقدم الفضل على رأس جيوشه فحاصر

طبنة ويسكرة وباغاية وكاد لهيب الفتنة يعم الاوراس لولا أن
قتل الفضل غدرا فى شهر ذى القعدة من سنته ، ماى ، جوان
وقتل أخوه أيوب بعده 341 هـ - 952 م ، وزحف بعدها يزيد
الى باغايا فانهزم عنها ولم يخمد أوزار الثورة بأوراس الى
أن جهز لها الخليفة رئيس صنهاجة بلكين بن زيرى الصنهاجى
فقتضى على الثائرين هنالك .

المصادر

- | | |
|--------------------------------------|--------------------------------|
| البيان المغرب فى أخبار المغرب ج 1, 2 | ابن عذارى المراكشى |
| طبقات المشائخ ، ج 1 | أبو العباس أحمد الدرجينى |
| تاريخ كتاب العبر ، ج 4 | العلامة عبد الرحمن ابن خلدون |
| جمهرة أنساب العرب | أبو محمد على بن أحمد بن حزم |
| آثار البلاد وأخبار العباد | القزوينى زكريا بن محمد |
| الصراع المذهبى بافريقيا | عبد العزيز المجذوب |
| الموسائل الكبرى لابن تيمية | شيخ الاسلام تقى الدين بن تيمية |
| العرب فى صقلية | د. احسان عباس |
| تاريخ الجزائر ، ج 2 | مبارك بن محمد الميلي |
| الاستقصاء ، ج 1 | أبو العباس الناصرى |
| المغرب عبر التاريخ | ابراهيم حركات |
| الفهرست | ابن النديم |
| المغرب العربى ، ج 2 | رابح بونار |
| ورقات عن الحضارة العربية | حسن حسنى عبد الوهاب |
| اتعظوا الحنفيا | تقى الدين أحمد المقويزى |
| الخلاصة النقية | محمد الباجى المسعودى |

عماد الدين أبو الفدا	المختصر في أخبار البشر ، ج 2
أبو الحسن علي المسعودي	التنبيه والإشراف
أبو الحسن علي بن الأثير	الكامل في التاريخ ، ج 8
صالح باجيرة	الاباضية بالجزائر
دكتور حسن إبراهيم	تاريخ الدولة الفاطمية
القاضي بن خلكان	وفيات الأعيان ، ج 1 - 2
عبد الله التيجاني	رحلة التيجان
لسان الدين بن الخطيب	رقم الحل في نظم الدول
عبد الله محمد بن أبي خيار	المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس
ياقوت الحموي	معجم البلدان ، ج 3
أبو عبد الله بن عبد العزيز البكري	المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب
د. علي حسني الخربوطي	الإسلام والخلاصة
اسماعيل أبو الفداء	المختصر في أخبار البشر

الفهــــــــــــــــرس

7	مقدمة : للدكتور عمر خليفة النامي
17	بين يدي القارئ : للدكتور عبد الحليم عويس
21	تقديم
23	ثورة أبي يزيد جهاد لاعلاء كلمة الله
23	التعريف بأبي يزيد
24	نشأته
27	عزمه على الثورة
29	ثورة أبي يزيد جهاد لنصرة الاسلام
30	أصل العبيدي ونسبه
40	المقالة فى أصل هذه الدعوة الملعونة ومبداها
41	ذكر ما كان من القداح وعقبة لعنه الله
43	قتل أبى عبد الله وأخيه أبى العباس وأبى زاكى
46	اظهار العبيدين الكفر وارغام الناس عليه

54	قيام أبى يزيد بثورته العارمة
56	العلماء الذين نفروا مع أبى يزيد من المالكية
	أبو يزيد مخلد بن كيداد ، جهاده وبخاصة فى تأسيس دولة اباضية بعد
59	بنى رستم
74	اتصال أبى يزيد بأمرأء الاندلس
75	صلته بالناصر الاموى متواصلة
76	أبو يزيد يؤسس دولة اباضية بعد انتصاراته
78	بالمكر والخداع توصل أبو طاهر للفتك بأبى يزيد
84	موت أبى يزيد مخلد بن كيداد
85	فضل ابن أبى يزيد واخوه أيوب يواصلان الجهاد بعد موت أبيهم
87	دولة أبى يزيد لم تنته بموته ولا بموت ابنائه
88	كيف كانت افريقيا بعد موت أبى يزيد
89	الخلاصة فى ثورة أبى يزيد
96	خاتمة
107	المصادر

دار البعث
قسنطينة - الجزائر
1402 هـ - 1981 م